

14A

الطبيعية

في

الشعر الاندلسي

جميلة شحادة الخوري

وهي رسالة قد منحت الى كلية

الاداب في جامعة بيروت الاميركية

لنيل

شهادة استاذ في العموم

الجامعة الاميركية

بيروت

١٩٤٦

## مقدمة البحث

هذه رسالة تبحث في شعر الطبيعة في الاندلس . ولقد تناولت فيها قبل البحث في جوهر الموضوع وبشيء من الإيجاز تاريخ الفتح الاندلسي والاسباب التي دعت اليه ، والعوامل التي ساعدت على ذلك . كما انني وجدت نفسي مضطرة لكي يجيء البحث مستوفى الشروط ان اتناول حالة الاندلس الاجتماعية وما كانت عليه عندما فتحتها العرب مما كان له الاثر الفعال في نفوس الشعراء وتلوين شعرهم بلون خاص .

ولن يجد القارئ بحثا مستفيضا تام الاجزاء في شعر الطبيعة رغم تخصص الرسالة في الموضوع وذلك عائد لفقدان المصادر الكثيرة وعدم توفرها في هذه الاوقات امام الباحثين في الاندلس وآدابها . زد على ذلك ان دراسة الطبيعة الاندلسية في مظاهرها الخارجية وما اوحته للشعراء من جميل الشعر وتصوير الانطباعات التي انطبع بها الشعراء كنتيجة للانعكاسات الجمالية التي انعكست على نفوسهم كل ذلك يحتاج الى درس مستفيض عميق يتطلب اكراما هو مطلوب من رسالة كهذه الرسالة .

ولقد آثرت بعد ان انعكست طويلا على مطالعة الشعر الاندلسي وقراءته قراءة دقيقة وغرلته ان اجتمع منه نماذج مختلفة تمثل مختلف الشعراء الوصفيين المعروفين في الاندلس فجاءت الرسالة مرجعا سهلا جامعا مبويا لهذا اللون من الشعر العربي في الاندلس واعتقد ان على ذلك تقوم اهمية البحث الذي اضعه بين يدي القراء وارجوه بحثا موفقا —

فهرست الرسالة

الفصل الاول ( ١ - ١٥ )

١ من الصحراء الى الجزيرة الخضراء

١ - فذلكة تاريخية

٦ ٢ - من زوايا المجتمع الاندلسي

الفصل الثاني ( ١٦ - ١٠٤ )

١٦ الطبيعة في الشعر الاندلسي

١٦ ١ - نظرة عامة في الشعر الاندلسي

١٨ ٢ - شعر الطبيعة

٢٠ ١ - الخضراء

٢٨ ، ٢٠ ١ - الرياض والحدائق : الورد والرياحين

٤٩ غراس الفاكية وسواها

٦٢ المنتزهات

٧٠ ب - الماء : الجداول والغدران ، البحيرات والبحار  
الاحواض والنواعير

٨٧ ج - الجبال والادوية

٩٤ د - الطيور والحيوان والموا

١٠٢ خاتمة

## المصادر

I المصادر : ( مرتبة حسب نسبي الوفاة )

- ١ - الضبي : احمد بن يحيى بن عبيدة سنة ١٧٠ هـ " بغية المتوسمين في تاريخ رجال الاندلس " مدريد سنة ١٨٨٤ م
- ٢ - اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكتاب المباسي سنة ٢٧٨ هـ " تاريخ اليعقوبي " برل سنة ١٨٨٢ م
- ٣ - الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى سنة ٣١٠ هـ " كتاب اخبار الرسل والملوك " طبع مصر ١٩٠٦ م
- ٤ - ابن عبد ربه : احمد بن محمد سنة ٣٢٨ هـ " العند القريد " المطبعة الابيرية مصر سنة ١٢٩٣
- ٥ - المسعودى : علي بن الحسين بن علي سنة ٣٤٦ هـ " مروج الذهب ومعادن الجواهر " باريس سنة ١٨٨١ م
- ٦ - ابن حوقل : ابو القاسم ابن حوقل النخعي سنة ٣٥٦ هـ " كتاب صورة الارض " مطبعة برل ليون سنة ١٩٣٨ م
- ٧ - القاسي : ابو علي سنة ٣٥٦ هـ " كتاب الاطالي " دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤ م
- ٨ - ابن هانسي : ابو القاسم محمد بن هاني الازدي سنة ٣٦٢ هـ " ديوان ابن هاني الاندلسي " بولاق سنة ١٢٧٤ هـ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ م
- ٩ - المقدسي : ابو عبد الله محمد بن البشارى سنة ٣٧٥ هـ " احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم " سنة ١٩٠٦
- ١٠ - ابن التديس : محمد ابن الحق الوراق سنة ٣٨٥ هـ " الفهرست " ليزيك سنة ١٨٧١ م
- ١١ - ابن الغضضي : ابو الوليد عبد الله بن محمد بن الاسفالا زدي سنة ٤٠٣ هـ " تاريخ علماء الاندلس " مدريد سنة ١٨٩٢ م
- ١٢ - الثعالبي : ابو منصور عبد الله بن محمد اسماعيل سنة ٤٢٩ هـ " يتيم الدهر في محاسن اهل العصر " دمشق سنة ١٢٠٤ هـ
- ١٣ - ابن حزم : ابراهيم بن حزم الاندلس سنة ٤٥١ هـ " طوق الحمامة في الالف والالاف " مكتبة هرة دمشق

- ١٤ - ابن صاعد : القاضي صاعد ابن احمد بن صاعد الاندلسي سنة ٤٦٢ هـ  
" كتاب طبقات الامم " بيروت ١٩١٢ م
- ١٥ - ابن زيدون : ابوالوليد احمد بن عبد الله سنة ٤٦٣ هـ " الديوان " مطبعة  
مصطفى الباي الحلبي طبعة اولى مصر سنة ١٣٥١ هـ
- ١٦ - ابن حيان : ابن مروان حيان بن خلف سنة ٤٦٩ هـ " المقتبس في تاريخ رجال  
الاندلس " باريس ١٩٣٧
- ١٧ - ابن حديد : ابو محمد عبد الجبار سنة ٥٢٧ هـ  
" الديوان " روم سنة ١٨٩٧ م
- ١٨ - ابن خفاجة : ابواسحق ابراهيم ابن خفاجة " الديوان " المطبعة الخاصة  
بجمعية المعارف بمصر سنة ١٢٨٦ هـ
- ١٩ - ابن خاقان : الفتح ابن خاقان الوزير الكاتب سنة ٥٣٥ هـ
- ٢٠ - ثلاثه المعيان
- ب - مطبع الانفس ومصرح التانسي في ملح اهل الاندلس  
مطبعة الحوالب استنبول سنة ١٣٠٢ هـ
- ج - تاريخ الدولة العبادية في الاندلس " نشر دوزي
- ٢٠ - ابن بسلام : ابوالحسن علي بن بسلام الشنتمري سنة ٥٤٢ هـ " الذخيرة في  
محاسن اهل الجزيرة " مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر  
القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ
- ٢١ - ابن بشكوال : ابوالقاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي  
الانضلي القرطبي سنة ٥٧٨ هـ " كتاب الصلة " مدريد ١٨٨٣ هـ
- ٢٢ - المراكشي : ابو محمد عبد الواحد سنة ٦٢١ هـ " المعجب في تلخيص  
تاريخ المغرب " مصر سنة ١٩٠٦
- ٢٣ - ياقوت : الشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ٦٢٦ هـ
- ا - معجم الادباء او ارشاد الارباب الى معرفة الاديب مصر سنة ١٩٢٤ م
- ب - معجم البلدان " مطبعة السعادة مصر سنة ١٣٢٣ هـ
- ٢٤ - ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الملقب بهمز  
الدين سنة ٦٣٠ " الكامل في التاريخ " الجزائر سنة ١٩١٠ م

- ٢٥ - ابن السهل : ابراهيم ابن السهل الاسرائيلي سنة ٦٤٩ هـ  
( الديوان \* المكتبة العربية الطبعة الاولى مصر ١٩٢٦ م )
- ٢٦ - ابن خلكان : شمس الدين ابراهيم بن العباس احمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان الاربلي سنة ٦٨١ هـ  
" وفيات الاعيان وابناء الزمان ما ثبت بالنفل والسمع او اثبتة العيان " دار الطباعة الميرية المصرية ١٢٧٥ هـ
- ٢٧ - النوسري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب سنة ٧٢٢ هـ \* نهاية الارب  
في فنون الادب و مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ
- ٢٨ - ابو الفداء : السلطان الملك المؤيد اسماعيل بن علي بن محمود بن المنصور  
محمد بن المظفر نقي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه بن نجم  
الدين ايوب سنة ٧٣٢ هـ \* المختصر في اخبار البشر طبعة  
اولى المطبعة الحسينية مصر
- ٢٩ - ابن فضل الله العمري : سنة ٧٤٨ هـ \* مسالك الابصار في مالک الاضمار  
مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٢ هـ
- ٣٠ - ابن شاكر : محمد بن شاكر سنة ٧٦٤ هـ \* سنوات الوفيات مصر ١٢٩١ هـ
- ٣١ - ابن الخطيب : الوزير لسان الدين ابن الخطيب سنة ٧٧٦ هـ \* الاحاطة في اخبار  
فرناطة \* مطبعة النوسحات باب الخلق طبعة اولى مصر ١٣١٩ هـ
- ٣٢ - ابن خلدون : عبد الرحمن محمد سنة ٨٠٨ هـ \* كليب العبر وديوان المتبراء والخير  
في ايام العرب والعجم والبربر \* مطبعة بولاق مصر ١٢٨٤ هـ
- ٣٣ - النواجي : شمس الدين محمد بن الحسن سنة ٨٥٩ هـ \* كتاب حليمة  
الكثير \* المكتبة الحلاوية مصر سنة ١٣٥٢ هـ
- ٣٤ - الحميري : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم سنة ٨٦٦ هـ  
صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب " الروض المعطار في خبر الاقطار "   
نشر لافي بروفنغال مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٢٧ م
- ٣٥ - المقرئ : شهاب الدين احمد بن محمد سنة ١٠٤١ هـ \* نفع الطيب في غصن  
الاندلس الرطيب ا - الطبعة الميرية السعيدية المصرية ١٢٢٥ هـ  
ب - الطبعة الازهرية مصر ١٣٠٢ هـ  
ج - الطبعة الجديدة مطبوعات دار التأمين مطبعة عيسى  
الباي الحلبي وثكاه مصر سنة ١٩٤٥ م
- ٣٦ - المحبسي : محمد امين بن فضل الله ١١١١ هـ " خلاصة الاثر في اعيان العبادي  
عشر " القاهرة المطبعة الميرية السعيدية المصرية سنة ١٢٨٤ هـ

## المراجع

- ١- امير علي سيد " مختصر تاريخ العرب والتقدم الاسلامي " نقله الى العربية باخررافت مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨
- ٢- الاسكندري احمد ، وعناي مصطفى : " الوسيط في الادب العربي وتاريخه " مطبعة المعارف ومكتبتها مصر سنة ١٩٤١ م
- ٣- البرقوقي عبد الرحمن : " حضارة العرب في الاندلس " مصر المكتبة التجارية سنة ١٩٢٣ م
- ٤- البستاني بطرس : اذياء العرب في الاندلس ومصر الانبعث " طبعة ثانية مكتبة صادر بيروت ١٩٤٤ م
- ٥- زيدان جورجى : " كتاب تاريخ آداب اللغة العربية " مطبعة الهلال بالقجالة مصر ١٩١٢
- ٦- ضيف الدكتور شوقي " الفن ومذاهبه في الشعر العربي " مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة اولى القاهرة سنة ١٩٣٤ م
- ٧- كرد على محمد " الاسلام والحضارة العربية " دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٤
- ٨- الكيلاني كامل : نظرات في آلا الادب الاندلسي " مطبعة المكتبة التجارية مصر ١٩٢٤ م
- ٩- النصولي : انيس زكريا " الدولة الاموية في قرطبة " بغداد ١٩٦٦ م
- ١٠- نوفل سيد " للشعر الطبيعة في الادب العربي " مطبعة مصر القاهرة ١٩٤٥ م

- |   |                                  |
|---|----------------------------------|
| <p>Hitti Philip : "History of the Arabs "<br/>         Macmillan &amp; Co. Ltd. St. Martin Street,<br/>         London 1937</p> <p>Nicholson Reynold : " A Literary History of the Arabs "<br/>         Cambridge at the University Press 1950</p> <p>Peres Henry: "La poesie Andalouse En Arab Classique au<br/>         XI Siecles. Librairie d'Amérique et d'Orient<br/>         Paris 1937.</p> | <p>1 1 .</p> <p>12</p> <p>13</p> |
|---|----------------------------------|

## الفصل الاول من الصحراء الى الجزيرة الخضراء

### لمحة تاريخية من الاندلس

ليس الغرض من هذا الفصل ان نؤرخ حياة العرب في الاندلس فنذكر كيف تم الفتح بالتفصيل بعد ان نقدم لذلك بالمقدوات التمهيديّة ونستنتج ما يمكن من الاستنتاجات التاريخية كما يفعل المؤرخون . كلا ليس غرضي شيئا من ذلك ، ان هي الا لمحة سريعة خاطفة من وصول العرب الى الاندلس نقف فيها عند بعض المظاهر التي نعتقد انها كانت جديدة على الغزاة الفاتحين فاثرت في اديبهم وعلومهم وثقافتهم . <sup>ويعني</sup> رتقا فاهم

استطاع العرب <sup>ويعني</sup> بعدة وجيزة من الزمن لم تتجاوز العقدين من السنين من تدوين اعظم قوى ذلك العصر تعنى بها الامبراطوريتان الفارسية في الشرق والبيزنطية في الغرب ، وهكذا بعد ان كانوا حفنة من الرجال يكونون برمال الصحراء وحرارتها وشوون بلهبها المحرق تطفحهم حرارة الشمس الفتاحجة في النهار وقرض اجسامهم البرد القارس في الليل اصبحت في هذه المدة الوجيزة امة عظيمة العدد قوية الشكيلة يهرب جانبها الاكاسرة ويخشها القياصرة ، واصبحت سوريا الكبرى ومصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى كلها من ولايات الامبراطورية الجديدة . وكانني بهؤلاء الغزاة الابطال ، وقد دوخوا قوى الشرق والغرب فوصلوا الجزيرة العربية باطراف افريقية من ناحية واطراف الهند من ناحية اخرى قد جنموا على الشاطئ الانريقي وقد اخذتهم نشوة النصر والفتوحات ، فراحوا ينظرون الى الشاطئ الاوربي الذي لا يفصله عنهم الا شقة ضيقة من الماء محدثين انفسهم بغزوه موطنين العزم الاكيد على تدوينها واعادة تشكيل الدور الذي مثلوه قبلا مع الفرس والرومان .

وتحققت احلامهم ونالوا ما صبت اليه قلوبهم ، وتم الفتح على ايدي موسى بن نصير وطارق بن زياد ، ولا عجب في ذلك فقد كانت اسبانيا الجميلة ذات الطبيعة الحلوة الجذابة قبل الفتح العربي متهددة القوى في حالة اضطراب وفوضى ، ترزح تحت نير القوط الفاصيين (١٠) الشديد الوطأة وتتنازعها الثورات والفتن وتتاكلها الاحزاب والفرق ، فتنفخ فيها سموم التفرقة والخذلان ، فيها شعبها يئن من صف الارستقراطية ويتالم من الاضطهاد وجور الطبيعة الحاكمة ، فاستبد ملوكهم وزادوا الضرائب على الشعب المسكين وقسموا البلاد بين رجال الدين والاشراف .



وهناك العبيد الذين كانوا يباعون ويشترون كحيوان من الحيوانات او متاع من المتعة البيت ، وكانوا كثيرى العدد بالنسبة الى الاحرار يعاملون بلا شفقة ولا رحمة تلعب السياط بابدانهم وتزهق ارواحهم ظلمات السجون ، ولذا كانوا يهربون الى الاحراج ويقيمون في الاودية يسطون على املك اسيادهم من وقت الى آخر يصلبون السابلة ويقطعون الطريق وكان الى جانب المتاعين من الشعب الاسباني اليهود ، الذين كانوا يعانون اقصى انواع العذاب والاضطهاد من جور الطبقة الحاكمة والكهنة والاعيان .

هذه كانت حالة الشعب الاسباني عشية الفتح الاسلامي (١) - وفي ساعة الفزع المضر اشرق عليهم قبح الحرية من جهة لم تكن بالحسبان فلم يكن من الغريب اذا ان يتمسك الاسبان به ، وينظروا الى العرب كمنخلصينهم من العبودية والاضطهاد ، وخصوصا لما عرف من العرب من التساهل والتسامح وما رآه ولمسه الاسبان انفسهم في افريقيا عندما كانوا يلجأون اليها من ظلم حكامهم وجورهم (٢) .

ولهذه الاسباب لم يلحق طارق بن زياد وجيوشه مقاومة تذكر عندما التقوا بالذريق القوطي وجنده فهزموهم شر هزيمة بالقرب من قادس (٣) ، ففتحوا اسبانيا وظلوا يتوغلون فيها حتى بلغوا بعد احدى وعشرين سنة من غزوها قلب افرنسا عند مدينتي (تور) (وبواتية) (٤) <sup>شني</sup>

هذا الانتصار المين لم يكل لتلك البلاد العثمانية والسلام كما كان ينتظر وانما ظلت بلاد الاندلس عمالة اموية يولى عاملها من قبل الخليفة تارة ومن الوالي فسي القيروان اخرى مدة ٤٦ عاما تولى فيها الامارة عشرون عاملا (٢٠) في فتح وجهاد ، وقتال وتضال ، واضطرام ثورات وقتن (٥) . ذلك ان هذا المجتمع الجديد الذي جمع الاسلام شمله مزج عناصر مختلفة النزعات ، متطابقة الاهواء ، فلقد وصل اليه العرب عقب الفتح من مختلف القبائل من عدنانية وقطحانية وسمنية وضرية وقبائل مختلفة من مصر والعراق والشام كما سبقتهم الى البلاد الجديدة عصبيتهم القبلية وغيرتهم وحسدهم المناصل في نفوسهم فعملت كل قبيلة

(١) History of the Arabs - Hitti, P:498 -99

النصولي - الدولة الاموية في قرطبة النصولي عن Dozzy, Coppe, Milwan, Scott,

(٢) سيد امير على مختصر تاريخ العرب والتعدن الاسلامي ١٢-١٣-١٤ P: 5-13

(٣) ابن خلدون المجلد الرابع ص ١١٢ القرى طبعة جديدة الجزء الثاني ص ١٣٥

(٤) Hitti History of the Arabs P.550

(٥) القرى طبعة جديدة الجزء الثاني ص (١١-١٢) (١٢٢-١٢٣) (٤٥-٤٦) ابن خلدون م ٤٠ ص ١١٨-١١٩

للقضاء على الاخرى لتستأثر بالملك والسلطان (١) . وما زاد الامر خطورة ثقاف القادة والروسا<sup>٢</sup> وتنافسهم وتناحرهم ذلك التناحر الذى اخذ يمزق الصفوف وشقت الشمل (٢) . كما ان رجال قبائل البربر الذين يتألف منهم معظم الجيش قد اخذوا يشعرون بهوطة الارستقراطية العربية واستئثار العرب بالسلطة والمغانم مع انهم هم اصحاب الحق في ذلك ، فنقموا على قوادهم العرب واهنؤهم ، وتالبوا عليهم وكانوا يتحينون الفرص للانقياع بهم والقضاء عليهم . ولذلك ما كاد العرب يستقرون في بلادهم الجديدة حتى فاجأتهم الثورة البربر التي امتد لمهبها اليهم من شمالي افريقيا فانضت مضاجعهم وحرمتهم الراحة والطمأنينة غير انهم ما لبثوا ان قضوا عليها بيد من حديد (٣) . وما كانت نيران البربر لتخمد الا لتبعث العدوات القديمة المستحكمة بين القبائل والبطون العربية التي كانت دائما على تمام استعداد لاثارة القلاقل والفتن ، وكان هنالك علاوة على هذه العناصر المتطاحنة عناصر اخرى زادت الامر خطورة هي القوط وغيرهم من مسيحيين ويهود (٤) .

غير انه يجب ان لا نخط الفتح حسنة نفع ان العرب شغلوا في بادى الامر بتوطيد الفتح الجديد وتوسيع حدوده استطاعوا في احوام قلائل ان يقمعوا عناصر الشر والفسخ التي كانت مستولية على البلاد وان ينظموا ادارة البلاد المفتوحة ، فقد قضى الفتح على الطبقات المتأخرة ، فتنفس الشعب المظلم الصعداء ، نعم لقد فرض العرب الضرائب ولكن بالعدل والمساواة واستطاع الناس ان يؤمنوا على حرياتهم وحياتهم ناموا لهم (٥) . اما من الناحية الدينية فقد اظهر العرب تسامحا كبيرا فقد تركوا للاسبان حق الاختيار ، اما البقاء على دينهم ودفع الجزية واما اعتناق الاسلام فتسقط عنهم الجزية فيصبحون والمسلم سوا<sup>٦</sup> بسوا<sup>٦</sup> في الحقوق والواجبات (٦) .

وبينما القلاقل والثورات تسود هذا المجتمع العربي الجديد في هذه الدنيا الجديدة كان الشرق العربي يتخبط في حالة من الفوضى والحروب الداخلية لا تقل عما كانت عليه في الغرب ، فقد غلب الامويون على امهم وقامت على انقاضهم دولة العباسيين الفتية التي اخذت على عاتقها اباداة الامويين عن بكرة ابيهم ولكن تايى الاقدار الا لتكتب النجاة لشاب

(١) المقرئ طبعة جديدة الجزء الثاني ص ٢٦٢-٢٦٨ Hitt1 501 - 503

(٢) المقرئ طبعة جديدة الجزء الثاني ١٢٢-١٤٥ ابن خلدون جزء ٤ ص ١٢٠

(٣) ابن خلدون بالجزء الرابع ص ١١٨ ، ١٢٣ Hitt1 502 - 503

(٤) A literary History of the Arabs, Nicholson P:405 Ch.IX. (٤)

(٥) سيد امير على مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ١٨ Hitt1 510. (٥)

(٦) Nicholson. 408 " " " " Hitt1 510 (٦)

لم يتجاوز العقد الثاني من عمره ، اصاب خفيف العارضين ، طويل القامة ، نحيف الجسم بوجهه خال (١) ، هو عهد الرحمن حفيد الخليفة الاموي هشام فينسل هربا من وجهه العباسيين مما وجهه شطر الاندلس فاستطاع بشجاعته وطموحه وثقته بنفسه ان يؤسس دولة اموية عربية سنة ١٢٨ هـ / ٧٥٥ م - ١٠٣٠ م . دون ان يبذل مجهودا حريا يذكر ساعده على ذلك العداوات المنصرمة والقتن المستحكمة بين القبائل (٢) واستمر حكم الامويين الى سنة ٤٢٢ هـ اي مدة ٢٨٤ سنة حكم اثناها تسعة عشرة خليفة فقطعت فيهما الدولة شوطا بعيدا من الرقي والحضارة (٣)

ان قيام الدولة الاموية في الاندلس لم تقصر على العداوات والحزازات المضطربة لعمل عهد الرحمن الداخل على التغلب عليها ولكنه اقترف اثما فظيما وهو استخدام الاحاب وضع قوته فيهم فاستعان بالبربر (٤) وانتهمهم بهماز حتى استقلت اطراف المملكة وقام في كل جهة فيها معتصب من العرب والموالي والبربر واقسموا القاب الخلافة فيما بينهم فمن مقتدر الى معتضد ومن مستعين الى معتمد حتى كثر الالقاب وتعددت الخلافات فذهبت بهجتها وزالت روعتها وقال فيهم شاعرهم :

ما يزهدني في ارض اندلس تلقيب معتضد فيها ومعتمد

القاب ملكة في غير موضعها كالمريحيكي انتقاخا صولة الاسد (٥)

وهؤلاء هم المسمون في تاريخ البلاد بملوك الطوائف فقد حكموها مستقلين كل منهم بناحية كاهن عباد في اشيلية ، واهن هود بسرقطة ، واهن الاطلس في بطليوس وذى النون في طليطلة وكان اقوى هؤلاء جميعا العباديون حكام انييليا وقد كانوا يفاخر كل منهم جواره وسعى في - الفوق عليه بترقية بلاده واتساع رقعتها وسط نفوذه على مجاوريه بالنزاع المستمر والقتال الدائم ما سهل للعدو طريق الوصول اليهم والتغلب عليهم (٦) فقد الفت اسبانيا المسيحية الفرصة سانحة لاستيلاء مجدها المفقود فاخذت تولب دويلات الطوائف بعضها

(١) المقرئ طبعة جديدة الجزء الثالث ٨٤ - ٨٥

(٢) المقرئ الجزء الثالث طبعة جديدة ٢١ - ٩٠ ابن خلدون الجزء الرابع ص ١٢١ - ١٢٢

(٣) " " " " " " ٢١

(٤) " " " " " " ٨٢ ابن خلدون الجزء الرابع ص ١٢٣

(٥) المقرئ نفع الطبيب الجزء الثاني ص ٩٤

(٦) ملوك الطوائف دوزين ٦ - ١ نيكولسن ٤١٤

على بعض دون ان يعمل ملوك الطوائف على تجنب الخطر المداهم بل اخذوا يرتمون في احضان الاجانب . وحدث في هذه الاثناء ان ظهرت دولة المرابطين (١) ١٠٥٦ - ١١٤٦ م ٤٤٨ هـ - ٥٤١ هـ من برايرة افريقيا الشمالية فاضموا البلاد لسلطانهم وقضوا على الدولة النصرانية واصبحت دولة الاندلس ولاية افريقية ولكن ما لبثوا ان دب الفساد بين صفوفهم وتقوضت ملكتهم لتقوم مكانها دولة الموحدين (٢) التي نشأت بمراكش في اوائل القرن السادس هـ ١١٢٠ - ١٢٦٦ م ٥٢٠ هـ <sup>٦٦٨</sup> ثم لم يلبث بعض امراء الاندلس ان ثاروا عليهم وردوهم الى بلادهم (٣) وكان في مقدمة هؤلاء الثائرين ابني هود (٤) وابن الاحمر (٥) وقد ملك ابن هود شرق الاندلس جامعلا سرقسطة قاعدة له كما حكم ابن الاحمر غرناطة ولكن الجحالة لم تخفى <sup>تبعه</sup> هادئة بل نشب قتال عنيف بين ابن هود وابن الاحمر انتهى بهزيمة ابن الاحمر واستيلاء <sup>بني هود على غلب</sup> وبقي حكمهم زهاء القرنين والنصف (٦) .

وفي هذه الاثناء كانت المملكة النصرانية قد نمت واتسع نطاقها واستولت على قواعد الاندلس وشغورها العظيمة كقرطبة وطليطلة واشبيلية ومرسية ولنسية وسرقسطة وغيرها كما تقلصت الدولة العربية واجتمعت اشلاءها بغرناطة التي بقيت محافظة على مركزها والتي سطعت فيها لمحة من عظمة الاندلس الذاهبة وحضارتها الزاخرة مدة من الزمن ، غير انها ما لبثت ان انتقلت اليها العدوى المشؤومة ولم يخض وقت بعيد حتى اخذت تمزقها الممارك الداخلية والمنازعات بين الرؤساء ، فاخذ يتب افرادها بعضهم على بعض مهددين الطريق للعدو الراغب الغرض لهم جميعا .

وكان مسرح الاندلس خلال احدى هذه الممارك الداخلية وما زالت قصة السلطان ابي الحسن واخيه الزغل ، وابنه عبد الله ابي محمد وانشقاق المملكة الصغيرة في ادى ساعات الخطر الى شطرين والتجاء ابي عبد الله الى ملك النصارى لينصره على ابيه ومنه وانتهاز النصارى هذه الفرصة لالقاء <sup>تبع</sup> ضربتهم الاخيرة على تلك المملكة التي مهدت لهم سبل الظفر بتعزيق بعضهم البعض . ظم الامة التي لم تعرف معنى للاتحاد (٧)

- |                                  |                                      |
|----------------------------------|--------------------------------------|
| (١) ابن خلدون الجزء الرابع ١٦٢   |                                      |
| Nicholson 430-32 , Hitti 541-546 | (٢) ١٦٦ - ١٦٧                        |
| Nicholson 432-33 Hitti 546-48    | (٣) ١٦٨ - ١٦٧                        |
|                                  | (٤) ١٦٩ - ١٧٠                        |
|                                  | (٥) ابن خلدون الجزء الرابع ١٧٠ - ١٧١ |
|                                  | (٦)                                  |
|                                  | (٧)                                  |

لقد كان من نتيجة استيلاء العرب على الاندلس ان تمخضت البلاد عن ثورة اجتماعية هائلة ، فقد ألغيت حقوق الطبقات الممتازة ورفعت الاثقال عن كواهل الشعب المسكين الذي كان يثقل من عسف الطبقات العليا المؤلفة من النبلاء ورجال الكليروس ، واستبدلت الضرائب الباهظة بضرائب عادلة تتناسب وحالة الاهلين على مختلف الطبقات ، كما ألغيت القيود التي سحقت التجارة وارهقت الطبقة الوسطى (١) فقد فرضت الجزية على الذميين والخراج على المسلمين والذميين وكانت الجزية زهيدة جدا يستثنى من دفعها الرهبان والنساء والاطفال بوجه عام ، والمقعدون والعمي والمرضى والارقاء بوجه خاص (٢) اما الخراج فكان يراعى في جبيه الحالة الزراعية في ذلك العام (٣) كما انه اعطي لليهود تمام الحرية في التصرف في ممتلكاتهم واقامة شعائهم الدينية وكانوا يعاملون والنصارى والمسلمين سوا بسوا (٤) وهكذا فقد كان من الطبيعي ان تتحسن حالة الطبقة المستعبدة ، فاصبحوا احرارا يستاجرون الارض من اصحابها ويفلحونها ولا حق لاصحابها الا باخذ اربعة اخماس محصولها (٥) كما نرى ان المهاجرين العرب الذين وفدوا الى الاندلس من ممالك زراعية بطبيعتها كمصر وسوريا وايران اقبلوا على وطنهم الجديد بهمة ونشاط وشمروا عن ساعد الجد للعمل وترقية البلاد وتحسينها وخلقها من جديد بعد ان كانت مشلولة خاملة ايام الملوك السابقين فزأوا الارض الواسعة قاحلة مجربة ، فتهمدوها برعايتهم وعلمهم ، لانهم كانوا ملهمين بخواص الزراعة والفلاحة ، بل جعلوا الفلاحة علما قائما بذاته فاستطاعوا ان ينمو المحصولات ويستخرجوا الكنوز ، كما عرفوا ملائمة التربة والطقس لزراعة النباتات المختلفة وهكذا اخصبوا الارض القاحلة وعصروا المدن المهجورة ، وزينوها بالتماثيل الجميلة والحدائق الغناء ، وربطوا بينها بالتجارة ، وشجعوا العلوم والفنون . وهكذا جعلوا من اسبانيا جنة وارفة الظلال تجرى من تحتها الانهار .

وامتدت الفتوحات ، واتسع الملك ، واستتب الامن وتدفقت الاموال ، وتبحر العمران ، وعبد الناس الى حياة الترف والترف من مستبعات الحضارة ، ان تتجه اليه الامم بعد عصور النهضات لتجني ثمرات جهادها وكفاحها الذي بذلته في عهد النهوض والكفاح والتمهيد ، وتصبح تواقا الى الاستمتاع بخيرات الحياة في ظل السلام والنظام اللذين تنشرهما الدولة بعد توطيد اركانها ، وفي بحبوحة الثروة والنعمة اللتين تدفقتا على الدولة بعد جهاد السنين والاجيال .

(١) H1TT1 510

(٢) H1TT1 509 - 510

(٣) سيد امير علي - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ١٨

(٤) ١٨ . . . . .

(٥) ١١ . . . . .

ولعل اكثر الام اقبالا على وسائل الترف والتبحر فيه اشدها من قبل خشونة في العيش واصليها واقواها مراسا في الميدان تنازع البقاء ، واتمها غلبة وظفرا على البلدان ، بل اكثرها ريحا من اسلاب اعدائها وارزاقهم فلا غرو اذا ان تجنح الى الراحة بعد الجهد والعناء ، وان تغالي في الاستمتاع بعد الصد والحرمان . فلا عجب اذا ان تصل اسبانيا الى ذروة سامية في حياتها الاجتماعية بعد ان اصبحت ميزانيتها على زمن الناصر خمسة آلاف دينار واربعمئة الف وثمانين الف دينار هذه من الجباية فقط ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف دينار وخمسة وستون الف دينار (١)

وهكذا نرى ان العرب احدثوا تطورا هائلا في حياة البلاد الاجتماعية ، فقد وجد اهل البلاد في الفتح يسرا وراحة لم يعهدوها من قبل ظهرت في مظاهر مختلفة من تنظيم للعيش ورفع مستواه ، الى مسكن ومأكل ومشرب ولهو وغنا ، الخ . . . . تركت جميعها اثرا واضحا في الادب الاندلسي . ولعل الناحية العمرانية من هذه النواحي الاجتماعية المختلفة هي التي تهمني بصورة خاصة ، لان بحثي يقوم في جوهره على الشعر الطبيعي الاندلسي والمطلع على التاريخ الاندلسي يرى العلاقة الوثيقة القائمة بين العمران ووصف الطبيعة في الشعر الاندلسي . فقد نظم الشعراء جل شعرهم في هذه المباني الضخمة والقصور الباذخة وما حوته من رياض وبساتين وبحيرات ونواير . لذلك اراني مضطرا لان اتوسع في بسط هذه الناحية التي تركت اثرا بارزا في الشعر الاندلسي .

لقد اهتم الامراء والخلفاء والولاة وروسا الدولة بالناحية العمرانية فوسعوا المدن ، وبنوا المباني العظيمة والمساجد البديعة ، وشادوا القصور الفخمة ، وحاكوا بها في الجلال والعظمة قصور المشرق ، وقد تفتنوا في هذه الابنية وبذلوا الاموال الطائلة في سبيلها ، حتى ان عهد الرحمن الناصر خصص ثلث الخزينة وتقدر بمئتي وخمسة واربعين الفا من الذهب للبناء والعمران (٢) . كما نرى ان عهد الرحمن الداخل مع انهماكه الشديد في قمع القلاقل والفتن والقضا على الفوضى التي كانت مسيطرة على الاندلس ابدى عناية خاصة بفتي الزراعة والعمارة وعمل على انهاضهما ، وما زال بهما حتى بلغا شأوا عظيما ، واصبحت قرطبه على عهد تحاكي مدينة بغداد في اتساع شوارعها وضخامة مبانيها وكثرت فيها الحمامات والفنادق ، وانتشرت البساتين على طول ضفة الوادي الكبير كما بنى المدارس الكثيرة وهو الذي شرع في بناء جامع قرطبه الشهير عام مائة وسبعين هجرية كما اخرج عليه مائة الف دينار ، وقد قيل ان هذا الجامع كان من العجائب (٣) وسيأتي ذكره بعد قليل .

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس ٢٧٥

(٢) الجزء الثالث الطبعة الجديدة ٢١٩

(٣) الطبعة الجديدة الجزء الرابع ٣١٤-٣١٨

وها نرى ان بركان الفتن والاضطراب قد هدا على زمن عبد الرحمن الثاني . وخيم الامن والسلام ، واعتري الاندلس فترة سكون وهدوء فكثر فيها الاموال ، فاعتنى عبد الرحمن الثاني بمشاريع العلمية فشيّد الجسور والمساجد والقصور (١) واقام الجنائن التي تجرى بها البحيرات الصغيرة المجلوبة من الجبال (٢) وكفى الناصر فخرا انه باني مدينة الزهراء فقد عرف عنه ولعه الشديد بالعمارة وتشبيده المباني والقصور وقد عرف عصره بالعصر الذهبي . وقد جلب الماء هو ايضا الى القصور من الجبل واستدعى عرفا المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية . ثم اخذ في بناء المنتزهات ، فاتخذ مينا الناعورة خارج القصور ، وساق لها الماء من اعلى الجبل على بعد المسافة (٣)

وكذلك نرى ان هؤلاء الخلفاء والامراء والقادة والنبلاء تنافسوا في تشييد القصور وتجميلها وتزيينها سواء كان بتنسيق البساتين الجميلة وغرسها باندري الزهور والفاكهة او باقامة التماثيل ومنا البرك والبحيرات التي جاءت آية من آيات الفن والابداع .

ولقد شجع هؤلاء الامراء والخلفاء الادب والادباء والشعر والشعراء فكان من الطبيعي ان يهرع هؤلاء الادباء والشعراء الى البلاطات يترلفون ويمدحون ، ويصوغون القصائد الطويلة في المدح وقصوره ومبانيه وحوائقه وما حوت من اطياب الاثمار والاشجار ، والازهار ، وهكذا اصبح الشاعر وقفا على هذه المباني وبساتينها وما حوت من الجمال الطبيعي الى جانب الجمال المصطنع ، فكان الشاعر بدلا من ان ينظم قصائد في الانهار المنسابة في الفلاة والبراري وفي الاشجار يقف شعره على التلغني بمحاسن القصور والبساتين المار ذكرها .

وتظهر محبة الرحمن الداخل للعلوم والآداب في اظهاره عناية خاصة بها واكثره من عقد الاجتماعات الادبية والعلمية والفلسفية وبناءه للكثير من المدارس . كما ان الكثير منهم كان ينظم الشعر ، فلقد كان عبد الرحمن الثاني عالما فاشد ميله الى العلماء وكان ادبيا رفيع مكانة الادباء وكان عالما بالفلسفة والشريعة فبجل الفقهاء ومن ثم ازدحم بلاطه بالعلماء والشعراء ورجال الادب (٤)

ولقد كان هؤلاء الخلفاء والامراء على صواب في شدة شغفهم بالبناء ، فقد كانت الحياة في الاندلس تتطلب هذا . فعلاوة على التائق في البناء والعمران كان يعود عليهم بالراحة والرفاهية ، كانت هذه الناحية تجذب اعجاب الناس واحترامهم لهم ذلك ان الاندلسي كان يميل الى البناء العظيم الفخم ويشعر ان البناء العظيم يدل على عظمة الباني .

كما نرى ان الخليفة لم يكتف بتهيئة اسباب الراحة لنفسه فحسب بل شيّد الجوامع والحمامات واقام الجسور والقلاع وبني المنتزهات لتتوفر اسباب الراحة لشعبه . فكانوا يهرعون زرافات ووحدانا الى هذه المنزهات يقضون نهاراتهم بين فورات المياه العذبة واريح الازهار الجميلة وتحت ظلال الاشجار الوارفة .

(١) النصولي ص ٦٧ عن Jane Poole P.78 (٢) ابن خلدون الجزء الرابع ١٣٠

(٣) ابن خلدون (٤) ابن خلدون المجلد الرابع ١٣٠ - المقرئ الجزء الاول ١٦٢

وقد سئل احد الولاة مرة ، كيف تانقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل قرطبه ، فقال طلعت  
انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر فاخبيت ان يبقى لي في بلادهم اثر اذكرك به على رفقهم (١)  
وقال صاحب النفع " واعلم ان المباني دالة على عظمة قدر بانيها " . ولم يزل البلغاء يصفون  
المباني باحسن الالفاظ والمعاني ، ومن ذلك قول ابن حمديس الصقلي في دار بناها المعتمد " (٢)

وفي هذا المعنى قال منذر ابن سعيد الشاعر عندما دخل على الناصر وهو منهمك في الاشتغال  
بالبنيان :

هم الملوك اذا ارادوا نكرها      من بعد هم فبالسن البنيان  
او ما ترى الهرمين قد بقيواكم      ملك محاء حوادث الازمان  
ان البناء اذا تعاضم شأنه      اضحى يدل على عظيم الشأن (٣)  
هذه هي نظرة الاندلسي الى البنيان فعظمة البناء تدل على عظمة الباني ، كما ان البناء يخلد  
بانيه .

وهكذا فقد تفنن الاندلسيون بالبناء فاستعملوا المواد المختلفة كالجبير والجص (٤) والرخام الذي  
فيه الابيض الناصع اللون والخمرى الغريب الشكل ومنه ما هو موشى في حمرة وصفرة ومنه الحالك والمجذع (٥)  
واما الوردى والاخضر فكانوا ياتون به من افريقيا (٦) واستخدموا الرصاص في القنوات والذهب الابيض والفضة  
الخالصة والنحاس المحول (٧) وكانت القرامد مذهبة او مفضضة واستخدموا العاج والابانوس المرصع بالذهب  
واصناف الجواهر (٨) والصخر المنحوت المعدل والصخر والاجر غير المعدل (٩) والبلور الصافي (١٠)  
والفخار المزجج (١١) واستخدموا المرمر المسنن والحديد (١٢) واستعملوا نوعا من الرخام الصقيل المعروف  
بالموكي (١٣)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الرابع ١٢٩	(٢) المقرئ المجلد الاول الجزء الرابع ١٢٨ - ١٢٩
(٣) " الطبعة الاميرية الجزء الاول ٢٦٩	(٤) " الطبعة الاميرية " الاول ٢٦٩
(٥) " " " " " ٩٥	(٦) " " " " " ٢٥٠
(٧) " " " " " ٢١٩	(٨) نفع الطيب الاميرية ٢٥٠
(٩) نفع الطيب الاميرية ٢٤٩	(١٠) " " " " " ٢٥٠
(١١) " " " " " ٩٥	(١٢) " " " " " ٢٦٩
(١٣) " " " " الثاني ٧٩٤	



ونرى ايضا ان الخلفاء والامراء لم يقصروا همتهم على القصور والحدائق وتوفير الراحة لانفسهم فقط بل اهتموا بالمدينة وتوسيعها وتجميلها لكي يضمنوا الراحة لشعبهم فقد كانت الشوارع متسعة والمباني مرتفعة وضخمة والديار فسيحة كبيرة (١) اما المياه فكانت توزع داخل المدينة بطرق هندسية فنية على البيوت والاسواق والحمامات والارجاء الداخلية والخارجية ، والبساتين كما حدث في غرناطة التي سميت بدمشق الشام (٢) وهذه المياه تتوزع بواسطة قنوات من الرصاص تقام على حنايا تؤديها الى القصور والبحيرات والبرك والاحواض والصهاريج (٣) ولكي نعطي صورة واضحة من هذه المدن الاندلسية ، وتنسيقها وعمرانها من مباني وقصور ومساجد ، اجد ان اتكلم عن بعض مدنها الشهيرة مثل قرطبة والزهراء .

### قرطبة

تقع قرطبة في سهل خصب واسع على سفح جبال سيرا مورينا بحيث تؤلف مدرجا بشكل نصف دائرة على الشاطئ الايمن لنهر الوادي الكبير (٤) وقد وصف بعضهم قرطبة قائلا : " قرطبة من الاندلس بمثابة الرأس من الجسد ، ونهرها احسن الانهار مكثف بديباج المروج مطرز بالازهار ، تصدح في جنباته الاطيار بوتشر النواير ، وبسم النوار وقرطابها الزاهرة والزهراء حاضرتا الملك واققاء النعما والسرا " (٥) وقال آخر : " جوفها شام وغربها قمام ، وقبلتها منام ، والجنة هي والسلام " (٦) ويعني بالشام جبال الورد ، ومنام ما يوه كل هو المدام النهر . ديارها فسيحة كبيرة ، شوارعها متسعة مبانيها ضخمة مشيدة ، هواؤها معتدل ، ونهرها جار عذب ، كثيرة الاشجار والرياض (٧) عديدة السكان ، فسيحة الاسواق نظيفة (٨)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٣٠٢ - الطبعة الاميرية ٢١٧

(٢) " الطبعة الاميرية " الثاني ٧٩٣

(٣) " " " الاول ٢١١

(٤) امير سيد علي - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي

(٥) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٣٠٢

(٦) " " " " ٣٠٣

(٧) " " " " ٣٠٤

(٨) " " " الرابع ١١٣

لقد تغنن ملوك العرب بتجميل قرطبه وتوسيعها فعمل عبد الرحمن الداخل على تعظيمها فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابثنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه واصلاح مساجد الكور ، ثم ابنتى مدينة الرصافة منزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الخراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار (١)

وقد جاء في النفح ان دور مدينة قرطبه بلغت الثلاثين الف ذراع (٢) ودور قصر امارتها الف ذراع ومائة (٣) وعدد ارياضها واحدا وعشرين في كل ريش فيها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم باهله ولا يحتاجون لغيره (٤) كما ان بخارج قرطبه ثلاثة آلاف قرية (٥)

وليس ادل على عظمة قرطبه وفخامتها في تلك الايام من قول بعض مؤرخي العصر " بان المسافر يستطيع ان يسير عشرة اميال في طريقها على ضوء المصابيح " ويقول كاتب آخر ان المدينة امتدت ٢٤ ميلا طولا و ١٦ اميال عرضا وكانت كل هذه المساحة زاخرة بالقصور والجوامع والمنازل والحدائق على ضفاف الوادى الكبير كما كانت ضواحيها مقسمة الى ٢٢ حيا يسكنها افراد الطبقة الغنية ورجال الدولة وكان لكل حي جوامعه واسواقه وحماماته و

وجلبت المياه من الجبل ووزعت في المدينة ، ان كان اول عمل قام به الحكم عند توليته الملك اقامة القناة التي تحمل الماء العذب من جبل قرطبه الى المدينة وقد زاد خلفاؤه عدد تلك القنوات و فاجروا المياه العذبة في قنوات نحاسية في كل ساحة من ساحات البلد وكانت الاحواض والصحاريح مصنوعة من المرمر المنقوش او من النحاس المسوه كما كانت في بعض القصور تصنع من الذهب الابرز او الفضة . وقد اقيم العرب بروجية المياه تجرى على مختلف الاشكال والانواع ولهذا انشئت حول القصور حدائق فناء ورياض انيقة تجرى من تحتها الجداول العذبة كما شيد لا عبد الرحمن الثالث قناة عظيمة تجرى فيها المياه العذبة المجاور الى المدينة على حنايا معقودة ينساب ماءها الى بحيرة عظيمة وقد اقيم عليها اسد عظيم الصورة ، بديع المنع شديد البرقة مطلبي بالذهب وحيناء جوهرتان نفستان فيها وميض عجيب . يجوز الماء الى هجز هذا الاسد فيدفعه الى البحيرة ، و بجانبه تمثال لانسان هائل يصب الماء على الاسد ومن ثم يتحول الماء الزائد الى النهر بعد ان تنال المدينة كفايتها ، وتسقى الحدائق والجنان (٦)

(١) المقرئ الطبعة الجديدة الجزء الخامس ٧

(٢) " " " الرابع ١٠٢

(٣) " " " ١٠٣

(٤) " " " ١٠٣

(٥) " " " ١٠٣

(٦) " " " الخامس ٥٤

ولا ننس ونحن بصدده قرطبه حديقة الرصافة التي بناها عهد الرحمن الاول والتي اصبحت  
انموذجا في كافة اعمالك اوربا المتمدنة ، اذ كانت تزخر بالزهور النادرة والاشجار الوارفة التي كانت  
تجلب اليها من سائر انحاء العالم وما زاد في رونق وبها تلك الحديقة الفخمة القصر المنيف الدارس  
الذي كان يطل عليها .

ومن عجائب قرطبه ايضا مسجدها الشهير الذي بناها الداخل ، وانه هشام الاول ، وجعله  
الناصر ، فجاء آية في الفن والابداع . وقد انفق الحكم في زيادة هذا الجامع مائة الف وواحدا وستين  
الف دينار ونيفا وكنه من الاخماس (١) وعندما شرع عهد الرحمن الداخل في بنائه سنة ١٧٠ هجرية  
اخرج عليه مائة الف دينار وقد قيل ان هذا الجامع كان من العجائب مومن عجائبه احتواؤه نحو ثلثمائة  
وستين طاقا على عدد ايام السنة متدخل الشمس كل يوم من طاق الى ان يتم الدور ثم تعود (٢)  
وقد قيل ايضا ان فيه تنورا من نحاس اصفر يحمل الف مصباح (٣) اما باب مقصورة الجامع فكان من الذهب  
وكذلك جوار المحاور وما يليه وقد اجرى فيه الذهب على الفسيفساء ، وثريات المقصورة فضة محض وارتفاع  
الصومعة ثلاثة وسبعون ذراعا الى اعلى القبة المتفحة التي يستديرها المؤذن وفي رأس هذه القبة  
تفانيع ذهب وفضة ، ودور كل تفاحة ثلاثة اشبار ونصف ، فاثنتان من التفانيع ذهب ابريز وواحدة فضة  
وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بابداع صنعة ، وقد وضع على رأس النخ رمانة ذهب  
صغيرة وهي احدى غرائب الارض (٤) وهكذا نرى ان اهل الاندلس جعلوا زينة مساجدهم على اشكال  
الفاكهة والزهور .

وكان عدد سوارى الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة بجانبه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة  
الف واربعمائة وسبعة عشر سارية ، وقيل اكثر (٥) وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان  
وشمانون ثريا ، وعدد الكؤوس سبعة آلاف كؤوس واربعمائة وخمسون وعشرون كأسا . وزنة مشاكي الرصاص  
للكؤوس المذكورة عشرة ارباع ، وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة ارباع  
القطار ، وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ريع ، وما كان يختص به في شهر  
رمضان ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة ارباع القطار من الكتان المقطر (٦)

## (٢) المقرئ الطبعة الجديدة الجزء الخامس ٧

- (٤) المقرئ الطبعة الجديدة الجزء الخامس ١١  
(٥) " " " " " ١٤  
(٦) " " " " " ١٤-١٥-١٦

وفي هذا الجامع من النقوش والرسوم ما لا يقدر احد على وصفه ، وبقبلته صناعات تدعش العقول وفي عضادى (ناحيتي) المحراب اربعة اصددة اثنان اخضران ، واثنان لآزورد يان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر نفيس خشبه سايج وآبنوس ويقم وعود قاقلي . وفيه حاصل كبير ملاآ من آتية الذهب والفضة لآجل الوقود ، وللجامع مشرون بابا صفحات بالنحاس الاندلسي مخرمة تخريما عجبيا يعجز البشر وببهرهم (١) وما هو جدير بالذكر ان النساء كن يذهبن ايضا للجامع للصلاة وقد خصص لهن اماكن ومقصورات منفردة (٢)

## الزهرا

بنى هذه المدينة العجيبة الخليفة الناصر بنا على طلب جاريتة المحببة اليه الزهرا ، اذ قالت له يوما انتهيت لو بنيت لي مدينة تسميها باسمي وتكون خاصة لي فلبس طلبها وبنها تحت جبل العروس وهي على نحو اربعة اميال من قرطبه وجعلها مآة مستنزا ومسكنا للزهرا وحاشيته وارباب الدولة ونقش صورتها على الباب ولما قعدت الزهرة في مجلسها نظرت الى بيلاس المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل الاسود فقالت : الا ترى حسن هذه الجارية الحسناء في حجر ذلك الزنجي ، فامر الناصر بنزال ذلك الجبل فقال بعض جلسائه : اميد امير المؤمنين ان يخطر له ما يشين العقل سمعه فلو اجتمع الخلق ما ازالوه صقرا ولا قطعاه ، ولا ينزله الا من خلقه . فامر بقطع شجرة وفرسه تينا ولوزا ونم يكن منظر احسن منها ولا سيما في ازمان الازهار وتفتح الاشجار وهي بين الجبل والسهل (٣)

ويجب ان لا نستغرب ذلك من الناصر حتى ولا ازالة الجبل فقد كان كلفا بعمارة الارض واقامة معاليها واستتباط مياهها واستجلابها من ابعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة الطك وعزة السلطان وعلو الهمة فاقضى به الاغراق في ذلك الى ان يبذل الاموال الطائلة لبناء مدينة الزهرا (٤) وهو الذي خصص ثلث الخزينة لبناء الزهرا وكانت الجباية تقدر بخمسة آلاف دينار واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف دينار وخمسة وستون الف دينار (٥) واتصل بنيان الزهرا ايام الناصر خسا وعشرين سنة شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها وكانت خمسة عشر عاما واشهرها (٦)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس ٤١ - ٤٢

(٢) " " " " " ١٦

(٣) " " " " الرابع ٢٧٤

(٤) " " " " الخامس ٦١

(٥) " " " " الرابع ٢٧٥

(٦) " " " " الخامس ٦٥

وسوف لا نستكثر هذه الاموال الطائلة التي صرفت في بناء الزهراء انا علمنا انه كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدم والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب الف وخسمائة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة ، وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الاجر والصخر الغير معدل (١) وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر الفا وسبعمائة وخمسين فتى ودخلتهم من اللحم كل يوم حاشا انواع الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان ثلاثة عشر الف رطل ، وهذه النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة واربع عشرة امرأة (٢) والمرتب من الخبز لحيتان للبحيرة x بحيرة الزهراء اثنا عشر الف خبزة كل يوم ، وينفق لها من الحمص الاسود ستة اقفة كل يوم (٣) وقدرت الخدمة في الزهراء في كل عام بثلثمائة الف دينار مدة خمسة وعشرين عاما (٤)

والزهراء مصنوعة من المرمر الخالص الابيض والاخضر والوردي والمجنز الذي حمل الى قرطبه من سائر انحاء العالم . واحواضها منقوشة بالذهب القريب الشكل الغالي القيمة ، وفيها حوض صغير اخضر منقوش بتمثيل الانسان جلب من الشام وقيل لا قيمة له لفرط غرابته وجماله ، وقد نصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالموتوس ، وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما حمل بدار الصناعة بقرطبه وقد نصب عليه صورة اسد والى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله شعبان ، وعقاب وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ، ودجاجة وديك وصدأة ونسر ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من افواهها وكان المتولي لهذا البناء ابنه الحكم لان الناصر لم يتكلم على احد غيره (٥) وللزهراء وابنتيها مقام سام عند الشعراء الاندلسيين ، والآن بقي علينا ان نقول كلمة في " قصر الخلافة " بالزهراء الذي هو ايضا آية من آيات الفن والابداع . فقد كان سمكه من الذهب والرخام النظيف في جرمه ، الصافي لونه ، للمتناونة اجناسه وقد عملت حيطانه على هذا الشكل وجعلت في وسطه اليتيمة التي اهداها اليه ملك القسطنطينية . وكانت فرامد هذا القصر من الذهب والفضة كما اقيم في وسط هذا المجلس صهريج عظيم مملوء بالزئبق ، واقام على كل جانب من جوانب المجلس ثمانية ابواب قد انعقدت على حنايا من العاج والابتنوس المرصع بالذهب واصناف الجوهر قامت على سوار من الرخام الملون والبلور

(١)	المقرى	المجلد	الاول	الجزء	الاول	الرقم
(٢)	"	"	"	"	الخامس	٥٩
(٣)	"	"	"	"	"	٥٩
(٤)	"	"	"	"	"	٦٢
(٥)	"	"	"	"	"	٦٤

الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطان فيحدث من جوار ذلك نور يخطف الابصار وكان الناصر اذا اراد ان يفتع احدا من اهل مجلسه او ما الى احد صقالبه فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور فيأخذ به جامع القلوب حتى ليخيل لكل من في المجلس ان المحمل قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرك (١) وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناؤه في الجاهلية ولا في الاسلام وانما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم . وكان بناء الزاهرة في غاية الاتقان والحسن ، وبها من المرمر والذهب والعبد كثير . واجرى فيها المياه واحدى بها البساتين (٢)

هذه نظرة عامة خاطفة للتقدم العمراني في البلاد الاندلسية لم نر الاستغناء عنها لما لها من اثر هام في شعر الطبيعة في الاندلسي .

---

(١) المعرى المجلد الاول الجزء الرابع ٢٨٢

(٢) ٢٨٢ . . . . .

## الفصل الثاني

### الطبيعة في الشعر الاندلسي

#### نظرة عامة في الشعر الاندلسي

راينا في الفصل السابق كيف دخل العرب الى الاندلس ووطدوا حكمهم فيها ونرى في هذا الفصل ان هؤلاء العرب الفاتحين جاءوا بشعرهم وادبهم ولغتهم من المشرق فساعدتهم ذلك على ايجاد نهضة ادبية خاصة نمت وتزهت على مر الزمن - ولا يستطيع المؤرخ ان يتجاهل هذه النهضة الادبية الخاصة وان جاءت في كثرتها الساحقة متأثرة بغطى الشعر المشرقي كما سنرى .

لقد طرق الشعر الاندلسي في موضوعاته جميع الابواب التي طرفها شعر المشاركة في بغداد والشام فاشتهر في المدح ابن هاني ، وابن عدي ، واحمد ابن شهيد ، وابن زيدون وابن حمديس ، وابن الحداد ، وابن عيود ، وابن الخطيب وابن زمرك . وفي الرثاء : ابن اللبان ، وابن عيود ، وابو البقاء الرندي وفي التشكي ودم الدهر ، المعتمد بن عباد ، وابن اللبان .

وفي الهجاء : ابو بكر الخزرجي الاعشى شاعر غرناطة - وولادة بنت المستكفي وكان هذا الفن ضعيفا في الاندلس .

وفي الفخر والساسة ابن وهبون ونفر قليل غيره لا يعتمد بهم لانهم لم يكونوا مشهورين . وفي الحسك ابن هاني وابن زيدون وابن وهبون . وفي الوصف اكثر الشعراء الذين تقدم ذكرهم وقد اجادوا في هذا اللون النحوي حتى انهم فاقوا المشاركة في كثير منه .

وفي النزل : ابو عمار ابن شهيد ، والربادي والرفاء ، وابن الحداد وابن خفاجة وابن زيدون .

وفي الطبيعة والعيان نبغ شعراء كثيرون سنأتي على ذكرهم بشيء من التفصيل فيما بعد .

وهكذا نرى ان شعراء الاندلس طرقت جميع الابواب الشعرية التي عرفها قبلهم

شعراء المشرق فهم لم يجدوا من هذه الناحية ولم يتناولوا مواضيع جديدة مبتكرة لم يطرقت قبلهم المشاركة وهكذا ان نظمنا الى القول بانهم كانوا مقلدين لشعر المشرق في جميع الموضوعات الا في الموشحات والازجال . واذا كان هناك من اختلاف بين شعرهم وشعر المشرق ففي الصور والجزايا الثنية الادبية لا في الجوهر ولا في الموضوع ، واليك اهم الجزايا الفنية في شعرهم :

يلاحظ اولاً ان هذا الشعر الاندلسي ينسج على منوال الشعر المشرقي في موضوعاته

وفي أساليبها . فجميع هذه المواضيع المذكورة عرفها المشاركة وطرقت في اشعارهم قبل ان

تصل الى الاندلسيين ، واذا كان هناك باب جديد في الشعر لم يعرفه المشاركة معرفة صحيحة

## فهو باب الموشحات والازجال .

لم تختلف مزاي الشعر الاندلسي عما في الشعر المشرقي اختلافا بينا فهم  
يلزمون الاسلوب القديم من حيث الاستمالة ، وحسن التخلص والتزام الغزل في قعائدهم  
المدحية .

ولقد تناولوا في اوصافهم ما تناوله قبلهم المشاركة من فلاة ونياق ووادى  
والراعى . وفي مدحهم بعض التعلق والاستعطف كما هي الحال في كثير من شعر المشرق  
وما نقوله في الشعر المدحي نقوله في غيره من الالوان الشعرية ، فشعرهم  
الراثي ينسج على المنوال والاسلوب الذى نسج عليه المشاركة ولكننا نلاحظ ان الاندلسيين  
عضوا برثاء المدن والبلدان وذكر الاحداث التي نزلت بالام الخالية غابا عنها وقوضت عروش  
اسيادها . وبهذا قد يخرجون عن الاسلوب المشرقي . نذكر كمثال على هذا ثونية الرندى  
ودالية ابن اللبان ، وفيها يرثي دولة بني عباد .

وغزلهم يختلف بين الغزل البدوى والغزل الحضري وفيه كثير من التقليد  
والتكلف والفحش والمجون . اما موضوعاتهم الغزلية التي وضوها فلا تخرج عما عرفه  
المشاركة . فلقد وصفوا اعضاء الجسم عضوا واكثروا من التشبيه الطالقة المعروفة  
بتدللوا امام الحبيب وتعبدوا له وعظموه واجلوه .

والشعر الاندلسي سواء كان في المدح او في الغزل في الرثاء او في الخمر  
والمجون تسيطر عليه مزنة الرقة والمليحة التي لا تلتصلا اثرا في الشعر المشرقي .  
وهذه المليحة وهذه الرقة تبدو في الالفاظ وفي المعاني . وهما نحاول ان  
نفكر عن معنى مبتكر طرقة الاندلسيون لم يعرفه المشاركة قبلهم . بل عبثا نفكر عن معنى  
عميق ، فرب في شعرهم كما هي الحال في معاني ابي تمام والمعتبي مثلا .

ولا بد لنا ونحن نذكر مزاي الشعر الاندلسي ، ونقارن بينه وبين الشعر المشرقي  
من القبل ان اولي الشان في الاندلس من امراء وعلناء ، وحكام وسلاطين كانوا معجبين  
بالشعر والشعراء اعباء كبيرا ، يقرنونهم اليهم ويذلون لهم الاعطيات والمهيبات كما كانت الحال  
في المشرق ، مما عزز الادب والشعر وكان الباعث على انباشتهما وتقديمهما .

لم تكن لغة الاندلسيين في شعرهم محكمة كلغة المشاركة وذلك لاهتمامهم عن  
الوطن الام ولاحتكاكهم بشعوب جديدة اجنبية عنهم ، خاصة وان الجيل العربي الجديد الذى  
نشأ في الاندلس لم يكن عربيا خالصا فنظم شعرا "وه الشعر بلغة عربية غير مائة .

هذه بعض المزاي الهامة في الشعر الاندلسي ذكرتها وانا طامعة الا اطيل  
البحث فيها واضرب الامثلة عليها خوفا من الاطالة والخروج عن المطلوب لا سيما وان البحث  
يجب ان يكون في شعر الطبيعة في الاندلس ما سنراه فضلا في الباب الاتي .



## ٢ - شعراء الطبيعة في الاندلس

قال الاندلسيون الشعر في مواضع شتى ونظموه في ابواب مختلفة كما تبين ولكن اذا شئت ان تلص ابداعهم وبراعة وصفهم ، ودقة تصويرهم ورقة احساسهم ، وشدة افتتانهم وحلاوة معانيهم وخصب خيالهم فاسمعهم في ذكر بلادهم الجميلة ووصف مفااتها ، اسمهم يصفون اطيوارها واشجارها ، جداولها وانهارها ، نجومها واقطارها ، قيومها وامطارها ، قصورها وحدائقها ، بركها ودوافقها مصورها وتماثيلها نقوشها وما الى ذلك من اسباب عمرانها . وما كان شعرهم الا اللوانا متمازجة انيقة من خضرة الاشجار وحمرة الاثمار ، وبياض الحباب ، وصفرة الشمس ، وذهب الاصيل ولجين الماء وزرقة السماء .

وما كان شعرهم الا موسيقى عذبة لتشييد المعنى ، ووقع اللفظ ، وهديل الحمام ، وزنين المكا ، وخرير الماء ،

وما كان شعرهم الا نسيم الروضة الفيحاء ، وارجح الازهار البيضاء ، وعبق الورود الحمراء .

وما كانت طبيعتهم الا طبيعة القصب الطائسة والطيور الساجدة والارض الكاسية .

كان للطبيعة في نفس الشاعر الرقيق العرف الحسائر ، وكان للطبيعة في شعره ظل ، وكان للطبيعة في جميع افراضه التي قال فيها الشعر والابواب التي طرقها ذكر . فالطبيعة الفه الحميم وتوأم روحه ، كيف لا وهي مهبط روحه . فالى ظلالها يسكن وبين محاسنها يهيم ، وبين ملاحجها يقضي اعذب اوقاته مع الحبيب او في ارتشاف الخمر . ولذلك فللطبيعة ذكريات في قلبه وللطبيعة انطباعات في حسه ، ولذلك فهو يذكرها دائما ويظل يلتفت الى ماضي اوقاته بين احضانها بحنين عذب وكم يتمنى لو تعود تلك الايام تاتيه . فلا غرو ان يكون اذا للطبيعة في نفسه مكان رفيع ولا غرو ان يظل الاندلس ذلك الصقع الجميل الذي له الطف اثر واجمل وقع في نفوس ابنائه ماثلا لاهين الاندلسي اينما حل واينما سار فهي قبلته وكعبته ، فاليها يحن واليها يتشوق ، وحيها في دماه يجرى حارا فجمالها فوق كل جملد وهرانها دونه كل عمران . ويظهر ذلك جليا في ابيات ابن خفاجسه المشهور :

يا اهل اندلس لله دركم ما وظل وانهار واشجار  
ما جنة الخلد الا في دياركم ولوتخيرت هذا كنت اختار

لا تختشوا بعددنا ان تدخلوا مقرا فليس تدخل بعد الجنة النار (١)

ولكي يسهل علينا البحث وتفتح انعام القارئ فيأخذ منه صورة جلية واضحة تقسم  
شعر الطبيعة في الاندلس الى عناصر مختلفة تناولها الشعراء فوجدها عنصرا عنصرا  
اهمها ما يلي :

١ - الخضر

أ . الرياض والحدائق

١ - الورد والرياحين

٢ - غراس الفاكهة وسواها

ب - المنتزهات

٢ - الماء

أ . الجداول والحدائق

ب . البحيرات والبحار

ج . الاحواض والنوامير

٣ - الجبال والوديان

أ . الجبال

ب . الوديان

٤ - في الطير والحيوان والسموم

ما جنة الخلد الا في دياركم ولو تخبرت هذا كنت اختار (١)

نعم لقد كانت الاندلس في ذلك اللعين كجنة الله في ارضه ، فلقد حباها الله بالقسط الاوفر من اعتدال مناخ ورقة هوا ، ولطافة جو ، فقاها الغمام من دموعه نسي اكثر ايام السنة فتفجرت ارضها بالارض الفياضة والجداول الرقراقة والينابيع الماثرة ، والعيون الناضحة وانسابت الوديان تشق طريقها لا مهالبة تاركة وراءها سهولا ربا حيث نهبت الاعشاب والازهار وامدت البساتين والرياحين فاصبحت تلك البقاع وكأنها حديقة واحدة واسعة الارجا تعمق فيها مختلف الازهار وتنصب فيها اشجار ندية الاغصان .

وقال بعض الادباء في ذلك ان النصارى حرموا جنة الآخرة ، فاعطاهم الله جنة الدنيا

بستانا متصلا من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية " (٢)

ولم يكف اهلها بهذا القسط من الجمال الطليهي بل همت يد الانسان في التنسيق والتنظيم وتسابق الامراء والخلفاء في هذا الضمار فاقاموا الجسور وشيدوا القصور وبنوا المدن وخططوا الرياض والبساتين وغرسوا بها الاشجار والازهار والرياحين واسالوا مياه الانهار والجداول ، واقاموا البرك الجميلة والبحيرات الواسعة كما فعل عبد الرحمن الداخل (٣) الذي بنى القصور الفخيمة وعلى راسها قصر الرصافة ، ودق الجنان الواسعة ونقل اليها غرائب واكلام الشجر من كل ناحية واصبحت حديقة الرصافة انموذجا في كافة ممالك اوربي ، ان كانت تزخر بالزهور النادرة والاشجار الوارفة التي كانت تجلب اليها من سائر انحاء العالم ، واصبحت الوديان ملاء بالاحراج النضرة الكثيفة وامتلأت مدن الاندلس بالدور الجميلة والقصور الانيقة النيفة تحيق بها الحدائق المسوجة بامرائش الزاخرة باشجار الفاكمة كالبرتقال والليمون والطرنج والآس واللوز والخمائل الناضرة ذات الشذى العطري ، وانسابت فيها العذارى الصافية ، وقد سطت الشوارع النوافير والفوارات الجميلة التي انبتت منها المياه على اشكال مختلفة تهمت في النفس الغبطة والسرور وطيب الجو هبوب النسيم المعطر بشذى الورد والرياحين فانعش القلب واحيا النفوس .

(١) ابن خفاجه الديوان

(٢) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٢٢٣

(٣) المقرئ النسخ الطبعة الجديدة الجزء الرابع

أوضاع بديعة وساتين رائقة وجنات لا نظير لها في اعتدال الهواء وهذه الأماكن  
هكذا أصبحت الأندلس في أيام استتب فيها الأمن على يد العرب الفاتحين فتعددت  
خيراتها ووددت قطوفها . وما يدل على شدة اعتناء العرب بتحسين الأندلس وترقيتها ما  
قاله ابن سميذ \* وما اختصت به الأندلس أن نراها في نهاية من الجبال لتصنع أهلها  
في أوضاعها وتبييضها لثلاث تبتوا العميون منها (١) فهي كما قال الوزير ابن الصمار  
فيها

لاحت قراها بين حضرة أيكها كالدريين زرجد مكنون (٢)

واليك ما جاء في الأحاطة في وصف غرناطة وحدائقها وساتينها . فالجبال الشاهقة  
والسفن العريضة والبطون المستدة والأغوار الخافتة مكللة بالأغصان غاصة بالأدواح متزاحمة  
بالبهوت والأبراج (٣) . وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث الكرم البديعة طوقاً  
مرقوماً يتصل بها وراءها من الجبال فتعم الرها والوهاد وتشمل الغور والنجد إلا ما اختص  
منها بالسبل الأنح متصلًا بشارقي باب البيرة إلى الخندق العميق . وكان يتخلل المباني الثلال  
والنبتون وسائر أدوات الفواكه من اللوز والأجاص والكوشى محدقة بالكرم المسيجة والرياض  
الملتفة ببحور طامية كثيرة المياه . ففيها الكثير من البساتين والرياض والحصون والأسلاك  
المتصلة (٤) .

وتحف بغرناطة البساتين العريضة والأدواح الملتفة فيصير سورها من خلف ذلك

كانه من دون سياج :

بلد تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره

وكانت وأديمه معصم غادة ومن الجسور الحكمت سواره (٥)

وهكذا قل في قرطبة وأشبيلية وغيرها من المدن الأندلسية الجميلة .

وهكذا الأدباء والشعراء وجدوا المجال واسعا أمامهم فانبثقت مواهبهم وفاضت  
قرائحهم يفيضها الجمال الخلاب، ومنهما السحر الحلال وأصبحت هذه العدايق وهذه  
الجنات شغلهم الشاغل فهم إذا ما مدحوا شهبوا ومدحهم بالروضة الغناء يهب فيها النسيم  
العليل . فيها ابن خفاجة يمدح قاضي القضاة قائلا :

يا تشر عرف الروضة الغناء ونسيم ظل السرحة العيناء

هذا يهب مع الأصيل عن الرها أرجا وذلك من غدِير الماء

عوجا على قاضي القضاة غديّة في نسي زهر أو حلى انداء (٦)

(١) النسخ المجلد الأول الجزء الثاني الطبعة الجديدة ٧٦

(٢) ٧٦

(٣) الأحاطة في أخبار غرناطة القسم الأول ٣٠ (٤) الأحاطة في أخبار غرناطة القسم الأول ٢٧

(٥) ديوان ابن خفاجة ١١ (٦) ديوان ابن خفاجة ١١

وقال في مكان آخر يمدح ايضا :

اما والتفات الورد عن ازرق النهر  
وقد نسمت ريح الندامى فنبهت  
واشراق جيد الغصن في حلية الزهر  
عيون الندامى تحت ريحانة الفجر (١)

وقال ابن عمار يمدح المعتضد في رائيته المشهورة :

روض كان النهر فيه معصم  
وتهمزه ريح الصبا فتخاله  
صاف اطل على رداء اخضرا  
سيف ابن عباد يبدد عسكرا  
عباد المخضرنائل كفه  
والجو قد لبس الرداء الاخضر

اندى على الاكباد من قطر الندى والذ في الاجفان من سنة الكرى (٢)  
واذا ما تغزلوا صافوا من الورد خدودا ومن النرجس عيونا ومن الاس اصداقا ومن السفرجل نهودا  
ومن قصب السكر قدودا، ومن قلوب الجوز وسرر التفاح مهاسم ومن ابنة العنب رضاها (٣)

وليل بحمين الدمع وصلا قطعته  
تري الحسن منشور اللوا يسره  
وانجمه بين النجوم سعود  
وظل الاماني في رياء مديد  
لدينا ومن روض الرياض خدود  
ورماننا وسط الرياض نهود (٤)

وقال آخر :

لولا حيائي من عيون النرجس  
ورشت من ثغر الاقاقة ريقها  
لثمت خد الورد بين السندس  
وضمت اعطاف الغصون اليسس  
للباقلا تلحظ بطرف اشوس (٥)

واكثروا من تشبيه الحبيب بانواع الياخين والرياض والبساتين وربما غالوا في ذلك حتى يجعلوا من  
محبوبهم روضة مختلفة الازهار والالوان من ذلك قول ابن خفاجة :

تتدى بفيه اقحوانسة اجرج  
وتجس في اثوابه ريحانة  
قد غازلتها الشمس فب سما  
كرهن على ظمأ بهجدول ماء  
تفاحة الانفاس الا انها  
حذر النوى خفاقة الانفاس (٦)

وفي هذا المعنى قول احد الاندلسيين :

مصبوبة الصباح فقسوه خدودا  
ورأوا حصى الباقوت دون نحرورهم  
واستوبعوا قصب الاراك قدودا  
فتقلدوا شهب النجوم عقودا  
حتى استعاروا امينا وخدودا  
لم يكفهم حد الاسنة والظبي

(١) ديوان ابن خفاجة ١١ (٢) ديوان ابن خفاجة ١١  
نفع الطيب المجلد الخامس الطبعة الجديدة ٣٠٨  
(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢١٠ (٤) الاحاطة القسم الاول ٢٩  
(٥) (٦) ديوان ابن خفاجة ١٢٠

وتثير الطبيعة في نفس ابن زيدون شاعر الحب والجمال معاني الهوى ، وتحرك لواعجه ويرى الهوى في طلوع النجوم ، والنس في هبوب التسيم .

الهوى في طلوع تلك النجوم والنس في هبوب ذلك التسيم (١)  
فالمطبيعة والحبيب في نظر ابن زيدون متشابهان ففرته تذكر بالشمس وانفاسه بالرياحين  
شخصي يذكرني فاه وفرته شمس النهار وانفاسه الرياحين (٢)  
والحبيب عنده شمس تطلع من نقاب ، بل خصن بان يرسل في وشاح ،  
رايت الشمس تطلع من نقاب وخصن البان يرسل في وشاح (٣)  
بل ان الحبيب لا جمل من البدر وابهى ولوانه بات عنده لما تطلع الى بدران السماء  
يا ليل ظل ، لا انتهى الا برسل قمرك  
لو بات عندي قنوى ما بات ارضي قمرك (٤)

ومن ابداع واروع ما قيل في فتنة الطبيعة في ظلال الحب قوله يتشوق الى حبيبته ولادة ابنة المستكفي :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والانس طلق وراى الارض قد راقا  
وللتسيم احتلال في اصائله كانه ريق لي فاحتل اشفاقا  
والروض من مائه الفضي مهتم كما شقت عن اللبان اطواقا  
يوم كايام لذات لنا انصرفت بتنا بها حين نام الدهر سرانا  
نلهو بها يستميل العيون من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقنا  
كان امينه اذ عانيت ارقسي هكت لما بي فجال الدمع رقراقا  
ورد تالقي في ضاحي مناهته فازداد له منه الضحى في العيون اشراقا  
سرى يتناحه نيلون عبقى وسنان فيه من الصبح احداقنا  
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا اليك لم يعد عنها الصدران ضاقا (٥)  
وكانوا اذا رثوا وصفوا الروض منتنيا على المعنى ، كما تجرى جداول الماء على الخدود حزنا عليه  
ويهتز الناس هزة الاغصان بكاء على العباب . وقال ابن خفاجة يرثي الوزير ابا احمد عبد الله  
بن ربيعة في كل ناد روض ثناء  
ولكل شخص هوة الغصن الندى  
ويكل خد فيك جندل ماء  
فب البكاء ورنه المكاء (٦)

(١)	ديوان ابن زيدون	٥٠	(٢)	ديوان ابن زيدون	١٠٩
(٣)	" " "	٢٦١	(٤)	" " "	٢٧٢
(٥)	" " "	٢٥٧	(٦)	" خفاجة	١٣

وضها :

فلطالما كنا نريح بظله فنريح منه بهرجة فنا

فتفت على حكم البشاشة نورها وتفتت في اوجه الجلساء

تتفرج الغمامة منه كانه قمر تنقي شطه الظلما (١)

مظهر ان الطبيعة اصبحت تشارك الاندلسي الفرحه واحزانغ فاذا حزن شعر انها يجب ان تشاركه همومه واحزانه وقد يبكي الشاعر يحزن اليم يصيب منه الفؤاد فيطلب من الطبيعة ان تؤاسيه وان تهطل اللسحب دموعا .

الم يان ان يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثارى البرق منصلت الدصل

وهلا اقامت انجم الليل مانسما لتندب في الافاق ما ضاع من مثلي (٢)

وهنا يطلب شاعرنا في حالة يوهه ان يبقى مع الآسي والقواني  
الاخلياني والاس والقواني ارددها شجوى واجهش باكيا (٣)  
وضها وهو يخاطب الماء مستجده .

يا برد هذا الماء هل منك قطرة تحمل فيستقي غمامك هاديا

وقف حيث سال النهر ينساب ارقما وهب نسيم الايك ينفت راقيا

وقل لا تيلا هناك واجدع سقيت اتيلا وحييت واديا (٤)

وان لفي هذه المناجاة وهي تصدر من قلب شاعر متالم حساس لوعة صادقة تحمل القارى على مشاركته شعوره .

واذا ما جلسوا في مجلس انس او طرب لم ينسوا ما كانت تميته لهم طبيعتهم الجذابة  
من جوجيل فخر تترقق فيه الاطيار وتسيل فيه الميع وتطيب فيه الاشار

وبل بنا نحو عين الدمع نشرها حيث السرور بكاس الانس يسقينا

حيث الهنا وفنون اللهورائعة والطير من طرب فيها تتاجينا

وجدول الماء يحكي في اجنته صوارما جردت في يوم صفينا (٥)

واعين الزهرني الافعان جاحظة كانها امين الفزلان تفرسنا

وتصبح الطبيعة وقد ثلوا بلذة الخمرة في نظرم كغادة مغربة فلا يستطيعون تفاديهما فياخذون  
بمغازلتها وخصها بقسم وافر من شعرهم .

مفخة الملابس بالانوالسي

وجفن النهر كحل بالظلال

ادرها فالسما بدت عروسا

وحد الارض غره اصيل

(١) ديوان ابن خفاجة ١٤  
(٢) ديوان ابن زيدون ١١٢

(٣) المطمح الجزء الثالث ٨٥  
(٤) المطمح الجزء الثالث ٨٥

(٥) الاحاطة القسم الاول ٣٠

وجيد الفمن يشرب في لآل  
وقال ابو بكر حمد بن نصر الانبلي وقد هدت الطبيعة كالعروس

وكانما تلك الرياض عرائس  
ملبوسهن معطر ومنظر  
او كالنيان لبسن موشي الحلبي  
فلهن في وشي اللباس تهختر (٢)

وهكذا نرى ان الطبيعة لدى الاندلسي تتقبل جميع الصور وتنحصر جميع الاشكال ، فان مدح  
حول مدوحه الى رياض وازهار واقمار وشمس ، واذا تغزل انسايت في القصيدة كالما الزلال ، واذا  
رعى تحولت الى دموع حارة تذرف على نقيده .

ومثل هذا الشعر كثير جدا عند الاندلسيين ولكنه على كثرة لم تتنوع صورته ولم تتعدد  
مناحيه ولم يتعمق الشعراء في ابتكار معانيه حتى انهم لم يختلفوا كثيرا بعضهم من بعض في انواع  
الاستعارات والتشبيه والتحيينات اللفظية فالمعاني الواحدة تتكرر وتتردد في عدة قضايد لشعراء  
مختلفين بالفاظ واحدة وتمايير واحدة كما سنرى في الصفحات المقبلة . انه لم يكن الشعر الاندلسي  
وهو نصف الرياض والبساتين الا كالرسم البارع الذي توغل في فيه الناظر البهجة ولكنه على نوفرها  
وجمال الوانها لم يستطع ان يقلقلها لنا الا كما التقطتها ريشته فلم يتمكن من ان يسكب فيها روحا  
من روحه وان يلونها بريشته مغموسة بدم قلبه . بل كان شاعرنا يخرج الى الطبيعة مع رفاقه  
يقيم بهجاءها ويتمتع بسحرها ثم يقف امام مذبح لينقل الى الناس مشاهدته ومغامراته وما  
تركه الطبيعة في نفسه من اثر وشعور يحدران من الحس والمشاهدة . فكان الشاعر يقرأ من سفر  
الطبيعة كما تراءت له لا اكثر ولا اقل ، ولم يكن هذا بالشئ العسير فقد توفرت لديه المناظر كما  
راينا وزخرت لغته بالاسماء والادوات لشتى مظاهر الطبيعة واثارها وما لانهارها واوقاتنا فما كان  
منه الا ان ينقحها الهنا بقلب شعري لطيف . ولهذا نرى ان هذا الشعراء اسم بالفتور واصطناع  
بالصنعة وهيمنت عليه سحقه التكلف والتطريق ، ولعل ذلك يرجع الى ان شاعرنا لم يخرج الى  
الطبيعة يتأملها لاجلها وحدتها ويستجلي محاسنها وان يحاول النفاذ الى معانيها واستكشاف  
اسرارها وفواضها بل كان هنالك دوافع عديدة خارجية تدفعه الى وصفها والتغني بمحاسنها  
من اهمها :

(١) تهافت الشعراء وتزاحمهم على عطايا الامراء والخلفاء ووقفهم شعرهم على هؤلاء  
الملوك لما ربه الخاصة والعامة ، فكثيرا ما كان الشاعر لا يقول الشعر الا بناء على طلب امير في  
مدحه ووصفه ووصف قصوره ومبانيه وحدائقه وما حوت من الغرائب والنفاد . وكثيرا ما كان يخرج  
الامراء والقواد الى رياضهم ومنزلاتهم ومعهم الشعراء للغاية نفسها فلا غرو اذا ان ينقص الشعر  
جراحة الايمان ، وحرارة الشفق بالطبيعة نفسها .



قال ابو عبد الله بن السيد البطليوس يصف متفرها انه مع المأمون بن ذي النون  
 حضرت مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها النوى وبراها هو  
 المقترح والمنفى ، والمأمون قد احتسب وانام الحبا هو المجلس يروق كان الشمس في افقه والبدر  
 كالنجم في مغرته والنور صفي ، وعلى ماء النهر مصطبح ومغتنق ، والدولاب يثن كفاقة اثر الحوار  
 او ككلى من حر الاروار والجو قد غبرته انواء ، والروض قد رسته انداؤه ، والاسد قد فغرت  
 افواهها ، ومجت امواهها فقلت (١) :

يا منظرا ان نظرت بهجته	اذكرني حسن جنة الخلد
تربة مسك وجو منسبيرة	وفيهم ندى وطش ماورد
والماء كاللازورد قد نظمت	منه اللآلي فواخر الاسد
كانا جائل الحباب بسسه	يلعب في جانيه بالنسرد
تراه يزهو ان يحل به ال	مأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قسما	تأبدا في مطامع السعد
كانا البست حدائقه	ما حاز من شيمة ومن مجد
كانا جادها فروضها	بوابل من يصينه رفسد (٢)

ان التصنع في وصف الطبيعة لجلي ظاهر في هذه المقطوعة وما وصفها الا ليخرض المأمون  
 فيصف مجلسه ثم يتوصل الى مدحه كما ان تربة المسك وجو العنبر ، وفيهم الندى ومطو ماء الورد  
 ولازورد الماء كلها تعابير تكررت في الشعر الاندلسي حتى ملست .

ولم يختلف ابو الفضل عن زميله البطليوس في وصف احدى نزهة المستعنين ، وركب  
 المستعنين بالله يوما مهر سرقسطه يريد طراد لذاته وارتياح نزهته واقتفاد احد حصونه المنتظمة  
 بلبته مواجتماعه من احمائه من اختصه لاستصحابه وفيهم ابو الفضل شاهدا لانقراضهم ، سالكا لنهاجهم  
 والمستعنين قد احضر من الات ايناسه ، واظهر من انواع ذلك واجناسه ، وا راق من حضر موافق  
 حسن الروض الاخير موالزوارق قد حفت به والتفت بهجوانيه ونغمات الاوتار تحبس اسائر عن عدوه  
 وتخرس الطائر المنصع بشدوه ، والسماك تثيرها المكابد ، وتفرض اليها العمايد فتبرز منها للمعين  
 قضبان در اوسبائك لجين ، والراح لا يطمس لها لمع ولا يبهض منها بصير ولا سمع ، والدهر قد  
 قضت صروفه وامتن من شكره معروفة \* فقال :

(١) فلائد العثمان ١١٢ - ١١٣ النسخ المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة نص

لله يوم انيق واضح الغرر  
نسير في زورق صف السفين به  
مد الشراع به نشر على ملك  
هو الامام الهمام المستعين حوى  
تحوى السفينة منه آية عجيبا  
تثار من مقره النيران صعدة  
مفضل مذهب الاصال والبكر  
بجانيبه بضظوم ونشر  
بذ الاوائل في ايامه الاخر  
علياء موتمن في هدى مقتدر  
بحرا تجمع حتى صار نبح نهر  
صيدا كما ظفر الخواص بالدرر (١)

والامثلة على ذلك كثيرة جدا لا يتسع المقام لذكرها كلها .

(٢) - منافسة الشعراء ومناظرتهم بعضهم بعضا في وصف الرياض والبساتين حبا بالمنافسة والمناظرة لا ميلا الى الطبيعة والتغني بها ، كما حدث لصاعد اللغوى وابن العريف النحوى فقد ذكر ابن سعيد " ان دخل ابن العريف النحوى على النصور بن ابي هاجر وعنده صاعد اللغوى بالبغدادى فانشده وهو بالموضع المعروف بالعامة من ابيات " (٢) :

فالعامة ترهسى على جميع المبانى  
وانت فيها كسيف قد صل في فسادى (٣)

فقام صاعد وكان مناقضا له فقال : اسعد الله تعالى الحاجب الاجل ومكن سلطانه ، هذا الشعر الذى قد اهداه وروى فيه اقدر ان اقول احسن منه ارتجالا فقال له المنصور قل ليظهر صدق دعوك فاجعل يقو من غير فكرة طويلة (٤) من ابيات منها يصف العامة :

انظر الى النهر فيها ينساب كالشعبان  
والطير يخطب شكرا على ذرى الاضان  
والقضب يلتف شكرا بعيس القصبان  
والروض يفتخر زهوا عن ميسم الاقحوان  
والترجس الغض يرنو بهوجة النعمان  
وراحة الريح تنضا ز نفحة الريحان  
ندم مدى الدهر فيها في خبطة واما ن (٥)

٣ - كثيرا ما كانت هذه الاوصاف ترتجل ارتجالا دون ان يفكر الشاعر تفكيرا عميقا فياتي بمعاني مبتكرة جديدة . فقد حدث مرة ان اجتمع الوزير ابو جعفر الوقي ووالد ابن سعيد الاديب المشهور ،

(١)	النسخ	المجلد الاول	الجزء الخامس	الطبعة الجديدة	٢٦٣ - ٢٦٤
(٢)	.	.	.	.	١٥
(٣)	.	.	.	.	١٦
(٤)	.	.	.	.	١٦
(٥)	.	.	.	.	١٧



فهذه الاسباب ومثلها الكثير هي التي صبغت الشعر الطبيعي بصفة التصنع والتكلف فجاء في اكثره متشابه الصور والالفاظ وسطحي المعاني بادي الكلفة والتزيق .

وليس لي وقد ذكرت اهم خصائص الشعر الطبيعي الا ان اعرض نماذج مختلفة منه ليستطيع القارى ان يكون له فكرة صادقة عنه وليتحقق من صحة ما ذكرته سابقا كما ولا بد من الاشارة الى ان هذه الشعر وان جاء متشابها في خطوطه الكبرى كما ذكرنا ولكنه بقي يتصف بصفات مميزة تختلف باختلاف قائل هذا الشعر فمنهم من احب الطبيعة في الرهاض والبساتين في جميع مظاهرها ، وفي اى حالة كانت . فالرؤى حسن وجمال وللأزهار عبير هو نشر الحبيب وصفرة النرجس هي صفرة وجهه

للرؤى حسن فقف عليه	واصرف هتان الهوى اليه
اما ترى نرجسا نضيرا	يرنوا اليه بمقلتيه
نشر حبيبي على رياه	وصفرتين فوق وجنتيه (١)
والرؤى سكران من ماء النسيم	
والرؤى يبعث بالنسيم كأنه	اهداه يضرب لاصطباحك موهدا
سكران من ماء النسيم فكسا	فناء طائره واطرب ردا
ياوى الى زهر كان مينته	رقبا تعقد للاحية مسرصدا
زهر يبيع به اخضرار نباته	كالزهر اسرجها الظلام وارصدا
وبت في فتن توههم ظله	يمسي ويصبح في القفارة مردا
قد خف مرقعه عليه وربما	مع النسيم يحطفه فتاودا (٢)
وهنا زمرة من الشمر لا تزوق لهم الطبيعة الا وقد اخضرت راييها واقتربت من ثغور اقاحها	
وانساب مياها الفضة تصفق تارة وتضحك اخرى ، وفي طيرها على العصون :	
وحديقة مخففة اثوابها	في قضبها للطير كل مغرد
والجدول الفضي يضحك ماؤه	فكانه في المين صفح معند
واذا تجعد بالنسيم حسبه	لما تراه منها للبيسر
وتناثرت نقط على حلقه	كالعقد بين مجمع ومبدد
وتدحرجت للناظرين كأنها	درنثير في بساط زبرجد (٣)

(١) الملح الجزء الثالث ٨٠ (٢) قلائد العقيان ١٨٢

(٣) النج مجلد اول جزء رابع طبعة جديدة ٢٩٦



وتجلت لآخر عروبل والمياء عقودها والقطرات افراحها :

سقى الله أرضا كلما زرت رزقها  
كساها وحلاها منظر القرط  
تجلت عروسا والبياء عقودها  
وفي كل قطرة من جوانبها قرط (١)  
ولم يخرم الاندلسيون بالغمم وسقوط الندى نقط بل اسرى هذا الحب وهذا الغرام الى  
الخطائل والازهار التي كانت تتحرق الى ارتشاف ريق الغمام

وخيلة رقم الزمان اديهما  
 رشفت قبيل الصبح ريق غمامة  
 وتلذذت في اكفافها ملك الصبا  
 وادرت فيهما الدهر كالسداة

بمخضرم وقسم ومشوب  
 رشف الحب مراشف المحبوب  
 وتعدت واستوزرت كل اديب  
 مع كل وزاح الجبين مهوب (٢)

والعل هذا الشنف وهذا الحب للغيث يرجع الى مزاياه الطبيعية ونواياه الحسنة، وشعوره الصادق نحو الآخرين من ابناؤه جنسه، وما كادت سحابة قاتمة تحجب شمس الضحى حتى يبكى الغيث لفقدائها

بم كان سحابه	لبست عمامي الصامت
حجبت به شمس الضحى	بمثال اجنحة الفواخت
فالغيث يبكي فقد هـا	والهرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب فصحا	والجو كالبحرورين ساكت
والرؤى يسقيه الحيا	والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ بجنسة	واطرب فان العمرقانت (٢)

وما يدل على شغف الاندلسي بطبيعة بلاده، تعشقه لشجرها وجمالها فهو يرى الكل في رهاها  
جوهرا منشورا، ويخال الزهر كافورا وحسب التراب مسكا ازفر، بل هي جنة راقصة طروب،  
فتخور السوسن تقبل حدود الورد والجدول ينسل جذلا مطروها كالسيف ز الطير يخطب فوق  
الاراك مسرورة مبهجة

والارض قد لبست رداء اخضرا  
هاجت فخلت الزهر كاهنرا بها  
وكان سوسنها يعافج وردها  
والنهر ما بين الرياض تخاله  
وجرت بصفحتها الرها فحسبتها  
وكانه ان لاح ناصع فضة  
والطيلان قد قامت به خطبا"وه  
والطل ينثر في رهاها جوهرا  
وحسب التراب فيها مسكا ازفرا  
نغر يقبل منه خدا احمرها  
سيف تعلق في نجاد اخضرا  
نفا ينثق في الصحيفة اسطرا  
جعلته كف الشمس تبرا اصفرا  
لم تتخذ الا الاراكة منبرها (٤)

(١) النسخ الجزء الاول الطبعة الازهرية ٣٥٠ (٢) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢١٢

(۲) \* \* \* \* \* ۲۸۴ (۴) دیوان ابن بن سہیل الاندلسی ۴۰ - ۴۱

بل ورداذا بلادهم هرومن ماء انورد

ارسل الجوماه ورد رذاذا

فانتشى حول اسوق الدوح خجلا

وسى في الفصون حلى بنانا

فترى الزهر يرقم الارض رقما

فكان المياه سيف سقيلا

وتبكي السماء في الاندلس لتضحك الزهر

الى اى يوم بعده يرفع الحمر

وقد صقلت كف الخزانة انقها

وكم قد بكت عين السماء بدمعها

وما غيبهم الا مشغل فضة

ونهار انس لو سالتا دهرنا

في فيئة علمت ذكاه غيبهم

والسرحة الغناء قد تهبث بها

فكان شكل الغيم مشغل فضة

وسع الحزن والدماء رشا

وجرى فوق بردة الروض رشا

اصبحت من كلاله الطل رشا

وترى الريح تنعش الماء نعشا

وكان البطاح عمد موشحسى (١)

وللورى تخريد وقد خفق الثمر

وفوق متن الروض اريدة خضر

عليها ولو ذاك ما بهم الزهر (٢)

يلقي على الافاق رطب الجواهر

في ان يعود بمشله لم يقدر

فتلفظت من نجمها في مثر

كف النسيم على لواء اخضر

يلقي على الافاق رطب الجواهر (٣)

وتدور الايام دورتها وتتور العلاقات ويصبح الحبيب عددا ان كان الغمام يبكي لتبتسم

الازهار ما ذ به معها في خضام يهاجمها ببيت البرق وسر السرور يرميها بنبل من الماء فما كان

من النهر الا ان تدريج تهبنا للمحرم واهتزت نينا الشجر مزجرة متفردة :

بين الرصاص وبين الجو محترق يفيض من البرق او سمر من السمر

وان اوترت نبالا قوسها كف السماء رمت نبلا من الماء في زحف من الغدر

لاجل ذاك اذا هبت طلائعها تذريج النهر واهتزت من الشجر (٤)

واجتمع الوزير ابو بكر بن الفيطر والاديب ابوالعباس بن صاره الاندلسيان في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ورقه والارض قد ضحكت لتعبر السماء واهتزت ريت عند نزول الماء فقال ابن

(١) الاحاطة الجزء الاول ١٢٢ (٢) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٨٠

(٣) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٣ (٤)

(٤) ٣٦٨ " " " " " "

القيطونة :

هذه البسيلة كأعب ابرازها حلل الربيع وحليها النوار (١)

نقال ابن صارة : وكان هذا الجوفينما عاشق قد شفه التعذيب والاضرار (٢)

نقال ابن القيطونة : وإذا شكا فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدمعه الامطار (٣)

فاجابه ابن صارة : من اجل ذلة ذا وهرة هنا يبكي الغمام وتضحك الازهار (٤)

وما اجل الطبيعة حين يحنو بعضها على بعض فنيما النبات في احضان النساء على اهتزاز الطل في مهد الخزامى ويسلي السحاب الاغصان فتعنى لتلثم افواه الندى ، ويكحل الفجر لهم اجفان الدجى ، ولعل ابلغ ما قيل في هذا الباب قول يحيى ابن هذيل احد اعيان الاندلس :

نام طفل النبات في حجر النعاسي لا اهتزاز الطل في مهد الخزامى  
وسقى الراسي احضان النعاسي فهوت تلثم افواه الندى  
كحل الفجر لهم جفن الدجى وفدا في وجنة الصبح لستاسا  
تحسب البدر محبا ثلا قد سقته راحة الصبح مدا  
حوله الزهر كوز قد تحسدت مسكة الليل عليهم غستاسا (٥)

وتضوع النسيم وضجك الازهار وكاء الغمام وتصفيق النهر ورقم الاغصان وفناء الطير من المعاني  
الوكرة المألوفة عند شعراء الاندلس :

والانس ينظم شطنا ويجمع طفل الماء ولنسيم تضوع  
ربعت تشيم سيوف برق تلعب والزهر يضحك من بكاء غمامة  
والغصن يرقص والحمامة تسجع والشعر من طرب يصفق موجه (٦)

وانظر الى الشاعر كيف يستعير الفاظه وتشايبه من اللجين والنفقة والنضار والذهب والدرر والجوهر  
والدراهم والدنانير ليصف الطبيعة :

اذن الغمام بديمة وفار فامزج لجينا منها بخار  
واربع على حكم الربيع باجرع هزج الندى من فصح الاطيار  
نشوت بحجر الروض فيها يد الصبا درر الندى ودراهم الانوار  
وهفت بشهره هنالک ابكسة خفاقة بههب ربح غسرار (٧)

(١)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢١
(٢)	النفع	الجزء الثاني	الطبعة الازهرية	٢٢١
(٣)	"	"	"	٢٢٢
(٤)	"	"	"	٢٢٢
(٥)	"	"	"	٢٢٣
(٦)	الاحاطة	الجزء الثاني	٢٥٥	

(٧) ديوان ابن خفاجة ٧٣



وفي هذا النعني قول احد الشعراء :

منج بمنفج الكتيب الاغر  
ومنها : و الطير تشدو والاراكه تنثني  
والروض ييم مذهب ومفضي  
والشمر ترقص في قميص اصفر  
وكانه وكان خضرة شطه  
وكان ذاك الحباب فرندة  
والزهر بين مدرهم ومدنر  
نهر يميم بحسنه من لم يعم  
سيف يسيل على بساط اخضر  
ويعتقد الشاعر ان الطبيعة تستمتع بهجمال بعضها بحضرة الشمس الا من الم فراق الرياض  
مها طفا في صفحة كالجوهر  
وما حوته من مناظر جملة .

ما اصفر وجه الشمس عند غروبها  
ولا لفرقة حسن نذاك المنظر (٢)

ارأت جفونك مثله من منظر  
وجداري تاراقم حباها وها  
والطير المفرد على الاغصان ولسان البرق الذي يشبه  
يستعملها شعراء الطبيعة في شعرهم

به وكان الطير يشقى فيطرب  
فاملئ وجالت راحة البرق تكجب  
لوا خضيب او ردا مذهب (٤)

ولابن خفاجة ايضا :  
ومائة تزعى وقد طلع الحيا  
يذوب لها ريق النعامة فضة

ولا تروق الطبيعة لثقة من الشعراء الا في الصباح الباكر وقد كاد الليل ان ينقشع وسفر الصبح  
عن جيش النهار وقد امتلاء الروض بالازهار التي قد انتشرت كالدراهم بسقط النداء كالدرد فوق النوار  
والريح تنفض باكرا قم الربى والنطل ينضج الاشجار

وكدابة مطر الصباح قناعها  
في ابطح وضعت تغوير اقاحه  
من صفحة تندى من الازهار  
اخلاف كل غمامة مدرا ر

(١)	الاحاطة الجزء الثاني	٢٥٣	(٤)	ديوان ابن خفاجة	٣٥
(٢)	"	٢٥٢	(٥)	"	٣٥
(٣)	"	٢٥٣			

نشرت بحجر الأرض فيه يد الصبا  
وقد ارتوى فطن النقا وتقلدت  
فعللت حيث الماء صفحة ضاحك  
والريح تنفخ بكرة لهم الرى  
شقم الالفاظ بين محاسن  
واراكة سجع الهديل بفرعها  
هزت له اعطافها ولربما  
خلعت عليه ملاة النسيوار (١)

وهذا آخر وقد بكر الى الرياض : -

قد بكرت الى الرياض وقضيتها  
با حسننها والريح يلحف بعضها  
والورد خد والاقاحي مبسم  
لم انفصل عنها بكاس مدامة  
قد ذكرتني بوقت المشاق  
بعضا كاهناني الى اعناق  
وقدا النهار بنوب من احداق  
حتى حطت محاسن الاخلاق (٢)

وقال اخر :

الا حبذا روض بكرنا لسدس  
وقد جعلت بين الفصون تسيمه  
ونحن اذا ما غلت القضب ركبا  
وكما لا يرون البعير ورود الرياض والحدائق الا في  
في الاصيل وعند المساء ، واحيانا تحت ضوء القمر . وهنا الشمس عند الاصيل وقد احمر الشفق وتلون  
الحقيق

يا هل ترى اطرف من يونا  
وانطق الورق بعيدانها  
والشمس لا تشرب خمغ الندى  
قلد جيد الانق طوق العقيق  
مرفعة في قضيب ورسق  
في الارض الا بكؤوس الشسق (٤)

وتترك الشمس سناها غرق نجيعا فوق النهر الاصفيل

وقد غشي النبات بظلالها  
وقد ولت الشمس محشدة  
كان سناها على نهسره  
كبد والنفار بخد اسيل  
الى النرب ترنو بطرف كهيل  
بقايا نجيع بسيف مسقيل (٥)

(١) ديوان ابن خفاجة ٧٢ (٢) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ٣٧٨

(٣) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ١٩٨ (٤) ديوان ابن خفاجه ١٠٤

(٥) ديوان ابن خفاجه ١٠٤

وهنا يدموا بين الزقاق خليله للذهاب معه عند الاصيل الى شاطئ نهر منساب  
في احد الرياض ليستمتع بالسحر والجمال :

دعاك خليل والاصيل كانسه  
الى شط منساب كانك ماؤه  
ومهى جناح للصبا يمسح الريا  
على حين راح البرق في الجو ومغدا  
وقد حان ضي للرياض الثقانة  
على سطح خيسي ذكرتك فانشى  
فصل زهرات منه هذا كانها  
عليك يقضي مدة الرمي الباقي  
صفا ضمير او مذوبة اخلاق  
خفي الخواني والقوادم خفا في  
ظباء ودمع المزن من جفته راق  
حبست بها كاسي قليلا من الساقى  
يميل باعناق ويرنو باحداق  
وقد فضلت فطرا معاجر عطلى (١)

وهذا آخر يصف عذبة انس

وهي انس اضعفتني نشوة  
خلعت علي هذا الراكه ظلها  
والشمس تجنح للغروب مريضة  
وهنا جلس البعير للشرب والسما تهطل دمعها والبطحاء  
والشمس تنفض على الربى زفراتها والانوار تخفض اجفانها فقال شاعر الحقل :  
لو كنت تنهد يا هذا عشيتنا  
والارض مصفرة بالمزن كاسية  
وجلس رهط آخر للشرب والبدر قد كمل :

ولقد شربت الراح يسطع نورها  
حتى تبدى البدر في جوزائه  
لما اراد تنزها في غريسة  
وتناهضت زهر النجوم بحفه  
وترى الكواكب كالنواكب حوله  
وتصبح الطبيعة في نظر بعضهم حينها حية لها جمالها ولها رونقها ولها نداها وشذاها الطيب :  
ندى النسيم فما ارق واعطرا  
فزفنتها بكرا اذا قبلتسها  
والليل قد مل الظلام ردا  
ملكا تناهى ببيجة ربهما  
جعل المظلة فوقه الجوزاء  
لاؤها تاستكمل الآلا  
رفعت هيموها اعليه ليلها (٢)

ولها رونقها ولها نداها وشذاها الطيب :  
وعفا القضيبي فما اغفر وانضرا  
القت على وجهي قناها احبرا

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٥٣ (٢) ديوان ابن خفاجة ٣٥

(٣) فلائد العقيان ١٠٠ (٤)

ورفت بين قميص غيمٍ هلهل ورداء شمس قد تنزق اصفرا  
والريح تنخل من رذاذ لؤلؤها رطبا وتفق من غمام غبيرا (١)  
وشبه ابن خفاجة الاراك بالمرآ الحسناء ولا يخرج في وصفها عن غيره من الشعراء فالكووس  
والنجوم والمدام كلها الفاظ مستعارة تجعل من هذا الوصف وصفا تقليديا .

واراقة ضربت سما فوقنا تتدى وافلاك الكووس تدار  
صفت بدوحتها مجرة جدول نثرت عليه نجومها الازهار  
وكانها وكان جدول مانها حسناء شد بخصرها زنار  
زف الزنجاج بها عروس مدامة تجلى ونوار الغصون نثار  
في روضة جنح الدجى ظل بها ونجست نورا بها الانوار  
غنا ينشر وشبه البزازلي فيها ويفتق مسكه العطار  
قام الغناء بها وقد نضح الندى وجد الشرى واستيقظ النوار  
والما من حلي الحيا مقلد زوت عليه جيوها الاشجار (٢)

وكثيرا ما كان يخرج الشعراء الى الحدائق والرباض للتمتع والشراب وكثيرا ما كانوا يصفون حالهم  
ومكانهم ومن جميل ما قيل في وصف هذه المجالس هذه الايات :

احسب المدامة والنسيم طيبا والظل خفاق الرواق ظليلا  
والنور طرف قد تنبه دامع وتطلعت من برق كل غمامة  
حتى نهادى كلنا خبطة ايكة عطف الاراقة فانشنى شكرا له  
فالروض مهتز المعاطف نغمه ريان فضضه الندى ثم انجلى  
وارتد ينظر في ثقاب غمامة ساج كما يرنو الى عواده  
وماك يولتمع المزيز ذليلا (٣)

وللشعراء اخبار كثيرة ونوادير طريفة جدا في هذه المجالس التي كانت تعقد في الرباض والمنتزهات  
التي سأتطرق اليها ذكرها هنا قريب في باب المنتزهات .

## ١ - الورد والرياحين

تكلنا من الرياض والحدائق ووصف الشعراء لها بصورة عامة ولان لنجل جولة قصيرة في جنات النعيم هذه ولنقف مع الشاعر الاندلسي عند بعض هذه الورد والرياحين نتأملها ونتلذذ بحاسنها ، بل دعونا نخرج معه الى غراس الفاكهة وما حوته من اطيب الازهار والثمار نستمتع بها ونشارك شاعرنا الاندلسي استمتاعه واجابه ولنستمع الى الحانه في وصف هذه الازهار زهرة زهرة وهذه الاثمار ثمرة ثمرة ، ولنبدأ بمسك الرياض

### الورد :

الورد عند العرب من الرياحين المفضلة بل هو ملك الرياض فقد كان المتوكل يقول  
انا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا اولى بها حبه وقال شاعرهم فيه :

للورد عندى محل لانه لا يـمـل  
وكل الرياحين جند وهو الامير الاجل

ولم يخلف اهل الاندلس من اهل المشرق في حبهم للرياض والرياحين والازهار فقد احبوا  
واولعوا بها ، فقد بلادهم بلاد النواوير والاهار وقد كان عندهم جهال تعرف به جهال الورد (٢)  
والورد عند البعض ملك النواوير ايضا كان سوا اوجد في الشرق او في الغرب فيقول :

الورد احسن ما رات عيني وازكى ما سقى ما السحاب الجائد  
خضعت نواوير الرياض لحسنه فتذلت تنقاد وهي شوارد  
واذا اتى وفد الريح مبشرا بطلوع وفد فنعم الوافد  
ليس البشر كالبحر باسفه خبر عليه من النبوة شاهد  
واذا تعرى الورد من اوراقه بقيت عوارفه فمن خوالد (٣)

وما يدل على مركز الورد السامي عند الاندلسي انه كان يتماداء الملوك والامراء كائمن الهدايا وانفسها فقد كان في دار محمد بن السبع شاعر الدولة الحامية وقراء وردة وكان يعدي وردها كل عام الى طارط الجيشر احمد بن سعيد وحدث ان غاب العارض سنة (٤) فقال ابن السبع في لسان الوردة :

قال لي الورد وقد لا حظته في روضتيه  
وهو قد ابنع طيبها كعب الحسن لذييه  
ابن مولاي الذي قد كنت تهديني اليه  
قلت غاب العمام فابن ان ترى بين يديه  
فيذا يذبل حتى ظهر الحزن عليه (٥)

وما يلاحظ من الاشعار التي نظمت في الورد ان الاندلسي لم يعرف الا لونا واحدا من الورد هو اللون الاحمر، ان اوصافهم لم تنفذ الاوراق الحمراء والاصفر في الوسط كما اكرر ما شبه به الورد خدود الحبيبة الحمراء من الخجل . فقد قال ابووطرق في هدية ورد :

خذها اليك ابا عبد الله فقد جاشتك مثل خدود زانلقها الخفر (١)  
وقال آخر في وردة ظهرت قبل تاوانها :

وردة وردت في غير موقتها والسحب قد علمت اجفانها مطلا  
وانبعا الورد لما لم يقد تمرا يفرقه انفتحت في خده خجلا (٢)  
وهنا يشبه شاعرنا الورد وقد تسربل بحلة من الشفق وقد قابله الياسمين بحلة صفراء كعاشق وحب

يا حسننها دائرة من ياسمين مشرق  
والورد قد قابلهما في حلة من شفق  
كعاشق وحبهم تغامزا بالحدق  
فاحمر ذا من خجل واصفر ذا من قرق (٣)  
وفي المعنى نفسه قال آخر :

يا حسننها دائرة من ياسمين كالجلي  
والورد قد قابلهما في حلة من خجل  
كعاشق وحبهم تغامزا بالقلي  
فاحمر ذا من خجل واصفر ذا من وجل (٤)

وعيط ترنجان هوورد حمراء فيصبح كخدود العذارى في معانقها الخضر

ورد جنى طالعتنا خدوده ببشر وبشر يبعثان على الشكر  
وحنى ترنجان به فكانه خدود العذارى في معانقها الخضر (٥)

وتراى الورد في الصباح وهو لا يزال برصا كهم بالتقيل ولكن ما يلبث ان وجبينه حمراء  
قد خرجها الحياء بعد ان تركتها الشمس وقد طبع في وسطها قبلة صفراء : -

ارى الورد عند الصبح قد مد لي فما

بشير الي التقيل في حالة الشمس

وبعد زوال الشمس القاء وجنة وقد اثرت في وسطها قبلة الشمس (٦)

(١)	النفح الجزء الاول ازهرى	١٤٨	(٢)	النفح الجزء الثاني ازهرى	٢٢١
(٣)	" " " "	٢٢١	(٤)	" " " "	٢٢١
(٥)	" " " "	٢٤٠	(٦)	" " " "	٢٢١

وهروق لآخر الخرفج الى الورود في الصباح وقد بللها قطر الندى وكانها الدموع سالت على خد  
الورد ولكن ما تلبث ان تجفها نفس الضحي

فوق خد الورد دمع  
برداء الشمس اضحي  
من عيون السحب يذرف  
بعد ما سال يجف (١)  
ويرى محمد بن عبد الله بن ظاهر في اوراق الورد الحمراء يواقيت وفي الخضراء زمردا  
وفي اواسطها ذهب

اما ترى شجرات الورد طالعة  
كانها يواقيت يحيط بسا  
كانه حين يبدو من مطالعه  
خاف الرقيب وداعي الشوق يؤمنه  
وراها آخر مداهن من يواقيت ركبت على الزبرجد  
اما ترى الورد يدعو للورود الى  
مداهن من يواقيت مركبة  
كانه حين يبدو من مطالعه  
خاف الملاك اذا طالت اقامته  
ورائحة الورد هي المسك

ودونك يا سيدى ورد  
كعدرا ابرها مبصر  
وفي خجل الورد قال آخر  
تذكرك المسك انفاصها  
فقطت باكامها راسها (٢)  
والورد يحمر من اهداه خجلا (٣)

فالد يصفى لاستحسانه حسدا

- (١) النفع الجزء الثاني ازهرى ٢٢١
- (٢) حلية الكميث التواجي ٢٣٨
- (٣) الارب النوني الجزء (١١) ١٩٠
- (٤) حلية الكميث التواجي ٢٤٠
- (٥) الدولة العبادية الجزء الاول ص ٣٢

## الياسمين

لم تنل هذه الزهرة حظوة كبيرة عند الاندلسيين شعراء الاندلسيين ولذلك لم يصفوها كثيرا وما الياسمين في عرفهم الا بساط اخضر يتخلله الجواهر

- يا حبذا الياسمين اذ يزهر فوق قصون رطيبة نضر  
قد امتطى للجمال ذروتها فوق بساط من سندس اخضر  
كانه والعيون ترفقه زمرد في خلاله جوهـر (١)  
قال ابوالحسن حاتم ابن محمد القرطاجني يصف الياسمين  
حديقة الياسمين لا تهيم بنيرها الحدق  
اذا جفن الغمام بكى تبسم ثغرها اليفس  
فاطراق الاهلة سا ل في اثائها الشفق (٢)  
وقال المعتمد ابن عباد  
كانت ياسميننا الغض كواكب في السط تبيصر  
والطرق الحمر في بواطنه كخد هذرا مسه عصف (٣)  
وفيه قال احمد ابن عبد الرحمن القرطبي  
ولقاء خلناها سماء زرجد لها انجم زهر من الزهر الغض  
تناولها الجاني من الارض قاهدا ولم ار من يجني النجوم من الارض (٤)

## النرجس

- ومعرف عند اهل الاندلس بالبهار وقد شبهه الشعراء بالعين وقد قال الجزيري على  
لسان بهار العاصية ابن المنصور  
حدق الحسان تغرلي وتخار وتخل لي رجلي النهى وتحار  
طلعت على قضبي عيون تمانني مثل العين تحفها الاشعار  
واخص شي بي اذا شبهته در تنطق سلكه دينار  
انا نرجس كذا حقا بهرت عقولهم ببديع تركيبي فتيل بهار (٤)

- (١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٦٨ (٢) النفع جزء اول طبعة ازهرية ٦٢٢  
(٣) النور على جزء ثاني ٢٢٧ (٤) النور جزء ثاني ٢٣٨  
(٥) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ٣٧٧



وشبه الشعراء الاصفر في وسط الزهرة بالثبر ، والاوراق البيضاء بانامل من فضة  
ركبت على اذرع من زبرجد

وابرز من نواره الغضل الندى  
على اذرع مخروطة من زبرجد (١)

تأمل فقد شق البهار كائما  
مداهن تهرني انامل فضة  
وفي هذا المعنى قال ابو الاصبغ بن سيد

الذي امثاله تبتغي  
كاس من الثبر به افرغسا (٢)

كانا النرجس في منظر الحسن  
انامل من فضة فوقه  
وقال شاعر يصف احدى نزهنا ، ومررت في احدى نزهنا بمكان مقروء من الحسن مسفر وفيه برك  
نرجس كأنه عيون مراض يسيل وسطه ماء خراض

نرجس باكرت منه روضه  
حنت الريح بها خمر حيا  
قعدا يسفر عن وجنتيه  
خلت لمع الشمس في مشرقه  
وبياض العسل في صفته

لذ قطع الدر فيه وهذب  
رقص النبت لها ثم شرب  
نوره الغر ويهتز طرب  
لها يحمله منه لهيب  
نقط الفضة في خط الذهب (٣)

وشبه احمد بن احمد الانبيلى النرجس بالعاشق الولهان الذي اضر به فر السقام  
اما ترى النرجس الغر الذي بدار كانه عاشق شابت زوائيه  
او المحب شكا لما اضره  
فرط السقام فعارته حبايبه (٤)

وبعد والنرجس لاهن حداد كاذرع الغيد وقد البست خضر البرود وتجلت فوق اناملها صفر اليواقيت  
انظر الى النرجس الوضاح حين بدا  
كاذرع الغيد في خضر البرود جلّت  
كانه ناظر من عين مبهوت  
على اناملها صفر اليواقيت (٥)

وتحول اذرع الغيد عند ابن الجنان الى معاصم تحمل ثقا من الدر صب فيه الذهب  
ونرجس قائم على قضب  
كمعصم من زبرجد حملت  
شخص الدحاظه لغير حبسب  
كها من الدر فيه جام ذهب (٦)

وشبهه شاعر آخر ياقوتة صفراء حولها ستة درر  
انظر الى نرجس في روضة انفا  
كان ياقوتة صفراء قد طبعت  
فناء قد جمعت شي من الزهر  
في فئنه حولها ست من الدر (٧)

وقال ابن مباد  
همري لقد راي طرفي حسن زاهر  
ابدت لنا هجبا منها حديقتهما  
تمس في سندسيات من الورق  
هينا من الثبر في جفن من الورق (٨)

- |  |                                    |
|--|------------------------------------|
| (١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣١٣ | (٢) النفع جزء ثاني طبعة ازهرية ٢٨٤ |
| (٣) قلائد القعبان ٢٠٩                      | (٤) ٢٨٤                            |
| (٥) حلية الكميث النواجي ٢٣١                | (٦) حلية الكميث النواجي ٢٣٢        |
| (٧) النويرى الجزء الثاني ٢٣٢               | (٨) النويرى الجزء الثاني ٢٣٢       |

## الشقيق

ولون الشقيق الاحمر يذكر الشعراء بالدماء و فقال احدهم في خامات زرع بينها شقائق  
نعمان هبت عليه ريح

- |  |   |
|--|---|
| <p>انظر الى الزرع وخاماته<br/>كثائبا تجفل منزومة<br/>بل حمرة الشقيق هي مسروقة من حمرة خدود الملاح في نظرا بن زقاق<br/>زرتها والغمام يجلد نعمة<br/>قلت ما ذنبها فقال مجيبها<br/>سرق حمرة الخدود الملاح</p> <p>قال ابن خفاجة<br/>يا حبذا والبرق يزحف بكرة<br/>حتى اذا ولى واسلم عنوة<br/>اخذ الريح عليه ثنية<br/>وتتراى الشقائق الممتدة في السهول الخضراء كنيد<br/>نظرت الى حسن الرياض وفيها<br/>فلم ترهني بها كشافات<br/>كما مشطت قيد القيان شعورها</p> | <p>تحكي وقد مات امام الريح<br/>شقائق النعمان فيها جراح (١)</p> <p>زهرات تفوق لون الراح<br/>سرق حمرة الخدود الملاح (٢)</p> <p>جيشا رحيق دونه وحرق<br/>ما شئت من سهل وذروة نيق<br/>فبكل مرقية لواء شقيق (٣)</p> <p>جري دمنه منهن في امين الزهر<br/>تبليها الارواح في القضب الغضر<br/>وقامت لرقص بخلائها الحمر (٤)</p> |
|--|---|

(٢) الفج الجزء الاول ازهرى ٢٢٢

(١) قلائد العقيان ٢٢٢

(٤) ديوان ابن حديد ١٦٣

(٣) ديوان ابن خفاجة ١٥

## النيلوفر

النيلوفر بالكسر ويفتح الفاء ومنهم من يقول النيلوفر ومنهم من يفتح الاول وهو ضرب من الراحين ينبت في المياه الراكدة من اصل كالجزر وساقه املس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطحه اوراق وازهر واذا بلغ يسقط عن راسه ثم يدخله بزر اسود .

كثرت البرك والبحيرات في الحدائق والبساتين وفي مساكن الاشراق وقصور الخلفاء واماكن اللهي فكونت جوامع ملائط لنمو زهرة النيلوفر التي لا تنبت الا في المياه الراكدة . ولقد جذبت هذه الزهرة البيضاء المنقطة بالاسود ذات الاوراق الخضراء الطافية على وجه المياه افكار الشعراء كثيرا ، هذه الزهرة التي تنفتح في الصباح وتنطوي في المساء كأنها عاشق تاذن لحبيبها في النهار بان يتفتح بها وتضعه عندها في الليل خوف الرقيب

وبركة تزهو بنيلوفر	نسيمه يشبه نشر الحبيب
يفتح الاجفان في يومه	حتى اذا الشمس دلت للعقيب
اطبق جفنيه على حبه	وقاص في البركة خوف الرقيب (١)

ويجد هذا العاشق الولهان في النوم لذة اذ لعله في الكرى يبصر من فارقته قد عن قريب

وبركة احيا بها ماؤها	من زهرها كل نبات حبيب
كان نيلوفرها عاشق	نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى اذا الليل بدا نجمه	وانصرف المحبوب خوف الرقيب

اطبق جفنيه على في الكرى يبصر من فارقته عن قريب (٢)

ويظهر ان لون النيلوفر المحفر قد ذكره بلون وجهه وما حال الزهر الا كحاله حزين متالم يعم في ابحر من الدموع

نيلوفر شكله كشكلي	يعم في ابحر من الدموع
قد البسته عطفه دروما	خود لريح الصبا شموع
يلوح اذ لونه كلوني	من فوق نضاضة سموع

مثل مسامر مذهبات في حلقات من الدروع (٣)

وطيب اريج النيلوفر البهيج يحيي النفوس فيدمر شاعرنا الناظرين الى التمتع بتالق جام الدر الذي احكم في وسطه قضا من السج

(١) النوبرى الجزء الحادى عشر ٢٢١ (٢) النوبرى الجزء الحادى عشر ٢٢١

(٣) النفع الجزء الثانى الطبعة الازهرية ٣٤١

يا ناظرين لذا النيلوفر البهيج

وطيب مخبره في الفجر والايح

كانه جام درني تالقه

قد احكموا وسطفصا من السيج (١)

وميل ابن حمديس الى اللون الاخضر فيذكره النيلوفر بالياقوت الاحمر وقد ضمن شعرا من الزعفران

للزومفا

كانا النيلوفر المجتنى

وقد بدا للعين فوق البنان

مداهن الياقوت حمرة

قد ضمت شعرا من الزعفران (٢)

وكان من عادة اهل الاندلس ان يجلسوا حول البرك يشربون وطربون يوما كان يزهى المكان  
بهجة ازهار النيلوفر البارزة على وجه الماء ولهذا يدعوا ابن حمديس طلاب الشراب قائلا :

اشرب على بركة نيلوفر

حمرة النوار خضراء

كانا ازهارها اخرجت

السنة النار من الماء (٣)

والظاهر ان هذه الزهرة كانت حبيبة الى قلوب البعض فالكى باسط يده نحو النيلوفر الندى

كلنا باسط يده

نحو نيلوفر ندى

كدها يمس عسجد

قضيها من زيرجد (٤)

### المسكن

يكثر المنثور في الاندلس على انواع مختلفة ومعرف عندهم بالخيري وهناك نوع  
آخر يعرف بالخام وهذه زهرة جريئة عكس زهرة النيلوفر العجول في عرف الشعراء ، لا  
تطيب الا ليلا للقاء الحبيب ولا تعبق رائحتها الا في الظلام . فاذا جن الظلام تبدت مع  
الامساء تفتش عن الحبيب

وخيرة بين النسيم وبينهما

حدثت اذا جن الظلام يطيب

تبدت مع الامساء حتى كانا

لها خلف استار الظلام حبيب

وتغنى مع الاصباح حتى كانا

عابها لانوار الصباح رقيب (٥)

وكتب لا احدهم يستهدى منتورا +

لك الخير اتحنني بخير روضة

لانفاسه عند الهجوم هبوب

ليس اديب الروض يجعل ليله

نهارا فيذكر تحته وظبيب

ويطوى مع الاصباح منتور نشره

كما بان من ربح المحب حبيب (٦)

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٦٠

(٢) ديوان ابن حمديس ٤٣٦

(٣) ديوان ابن حمديس ٤

(٤) تاريخ الدولة العبادية دوى ٣٢

(٥) النويرى الجزء الحادى عشر ١٩٦

(٦) النفع جزء اول طبعة ازهرية ٦٢٢

## البنفسج

البنفسج احدى الزهور التي احبها العاصرون منذ المنصور حتى آخر هذه السلالة وقد سمي المنصور احدى بناته بهذا الاسم، وحدثني العاصمية كانت ملاهى بهذه الزهرة الناعمة الجميلة . وقد قال فيه الجزيري على لسان البنفسج وهي ابنة المنصور العاصمي :

شهدت لنوار البنفسج السن من لونه الا حوى ومن ايناعه  
بمشابه الشعر الاحم اعاره القمر النير الطلق نور شعاعه  
ولربما حمد النجيب من الطلق في صام المنصور يوم قرأه  
فحكاه غير مخالف في لونه لا في روائحه وطيب طباعه  
وقال احدهم يصفه

بنفسج جاءك في حين لا حررى فيه ولا فرط برد  
كانه لما اتينا به منغص الاثواب باللازورد

## السنبل

يشبه الشعرا اوراق هذه الزهرة البيضاء بكؤوس البلور والنقط الصفراء في الوسط بالسنه الذهب .

وسوسن راقى مرآه ومخبره وجه في امين النظار منظره  
كانه اكؤوس البلور قد صنعت سدسات تعالي الله مظهره  
وبينها السن قد طوقت ذهبها نمن بينها قائم بالملك يوم ثره  
وعنا يشبهها ابن الابار بالثريا

وسوسنات ارت من حسننها بدعا ولم يؤل عصر مولانا يرى بدعا  
شبيهة بالثريا في ثالثها وفي ثالثها تلتاح ملتصمة  
هامت بيضاء تبغي ان تقبلها ناشترة تجتلى مرآه مطلعها  
ثم انشئ بعضها من بعضها قلبا على البدار فوافت وهي مجتمعة

وتيل دخل المطرف بن ابي الحباب الشاعر على المنصور في هذه النية فوقف على روضة فيها ثلاث سوسنات اثارة قد تفتحنا رراحدة لم تفتح بعد فقال :

(١)	النفح الجزء الثاني الطبعة الازهرية	٢٧٨	(٢) حلية الكهف	٢٤٦
(٣)	• • • • •	٣١٢		
(٤)	• • • • •	٣٤١		

أبدت ثلاثا من السوسان مائلة  
فبعض نوارها للبعض منفتح  
كانها راحة ضمت أناملها  
واختها بسطت ضها أناملها  
أعناقهم من الأحياء والكسل  
والبعض منخلق عنهم في شغل  
من بعد ما ملكت من جودك الخضل  
ترجو نذاك كما عودتها فصل (١)

### الآســــــــــــــــــــــــــــــــس

وللأس أو الريحان رائحة طيبة ، وقال ابن خفاجة في صفة ربحان مطيب ورد ليلا  
لك الله من سار إلى مسلم  
يجول به ماء النضارة والنسدى  
تنفس بهدى من حبيب تحته  
يذكرنا ربا الأحبة نفحه  
وما الريحان للعاشقين في عرف البعثر  
فغاب وراء الليل من أم سالم  
كما جال ماء البشر في وجه قادم  
هزنا لها زهوا فضول المعاشم  
فذكره بالدمع سقيا الغمام (٢)

جنان يا جنان ، اجن من البستان ، الهاسمين  
وأترك الريحان بحمرة الرحمن للعاشقين (٣)

ولم يكف شعراء الأندلس بوصف الرياحين والورود بل تعرضوا إلى وصف نواوير الفاكهة وزهارها ،  
وهذا ابن خفاجة يصف مجلس انس وأخوان صدق قد فرس بين أيديهم وشى عليه زهر النارج فقال ،  
وندى انس هزني  
والليل وضاح الجبين  
فقتلت مع حمامة  
والتورمتم ورد ورد  
يئدى بأخلاق أصحاب هناك لا يئدى السحاب (٤)

وقال آخر في وصف زهر اللوز

لا نور يعقل نور اللوز في انق  
نظام زهر يظل الدر منتثرا  
بيننا ترى وهي اصداق لدر حيا  
وبهجة عند ذى عدل وانصاف  
عليه من كل هاني القطر وكاف  
يخرفدت دررا في خضر اصداق (٥)

- |     |  |     |                     |
|-----|--|-----|---------------------|
| (١) | الفتح الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٢ | (٢) | ديوان ابن خفاجة ١١٣ |
| (٣) | الاول ٤٢١                              | (٤) | " " " "             |
| (٥) | " " " " ٣٤١                            |     | ١١                  |

وهنا يقول آخر في وصف نوار الكتان : وقد ازهر على جانبي الخليج :

انظر الى النهر والكتان يرمقه	من جانيه باجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للعبا شطرب	لقابلته باحداني لها ارق
واصبحت في يد الارواح تنسجها	حتى مدت حلقا من فوقها حلق
فلم تزرها ووجه الارض مصطبج	او عند صفوته ان كت تفتيق (١)

ويرحب آخر بهزرا اللازورد يقول :

اهلا بهزرا اللازورد ومرحبا	في روضة الكتان تمطفه الصبا
لو كنت ذا جهل لخلتلك لجة	وكشفت عن ساقى كما فعلت سبا (٢)

---

(١) النفع الجزء الاول الطبعة الازهرية ص ٤٩

(٢) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٧

٢ - غراس الفساحه ومسواها

قيل خير اقدم بين ترك الاندلس وبين الوصول الى حضرة مراکش

ليشغل منصب الوزارة هناك ، فاجاب " وبعد فكيف افارق الاندلس ؟ وقد علم سيدى انها جنة الدنيا بما حباها الله من اعتدال الموا ، وهذوية الماء وكثافة الانياء .

”هي الارض لا ورد لديها مكر و لا ظل مقصور و لا روض مجدب“

افق صقیل، و ساطع مریح، ہوا، مائع و طائر مترنم ہو ہوا، بلبل و کیف یعدل الادیب عن ارض علی

هذه الصفة (1) : إن هذه البلاد الطيبة التي تشبه سوريا بسماؤها الصافية وأرضها الجميلة .

والبنم بظيب الجو وحسنه والمند باطيارها زهرها ، وحمر بخصبها ، ذات الانهار الكهيرة بوالياها

العذبة الغزيرة والتربة الخصاب (٢) كانت موطننا كريما لنور الانسجار والمزروعات على مختلف انواعها

فنبهت فيها أطيب الثمار المختلفة وأحسن الحبوب والخضروات ، ولا يجب أن ننسى فضل العرب

في تحميمين الزراعة وما فسلوه بعد ان الموا بخواص الزراعة وجعلوا فلاحه الارض علما قائما بذاته

كما درسوا ملائحة الطقس والتربة لمختلف انواع الفاكهة والنباتات . وهدى الاسبان للمعرب بادخال

زراعة الارز وقصب السكر والقطن والزعفران والاسيياغ ومختلف انواع الفاكهة الى اسبانيا ،

ومنها اخذ العرب هذه المزروعات (٢) .

\* كذلك اشغل الحرب موقع كل منطقة وزعموا فيها المزيوعات الملائمة كاحراش

النخيل في بلاد بلنسية ، والأرز في البوغاز والقصب السكر والقطن في أوليفيا وكندية ، وكانت الكرم

تبدوا من ابداع وا تقع عليه العين في شمس وغرناطة ومالقة بينما كانت اراضي انشيلية والقسم

الاعظم من اندونيسيا مزودة بالزيتون ، وقد اقيمت في كافة البلاد القناطر الكبيرة وحفرت الترع والمصارف

العديدة لاستجلاب الماء وتوزيعه بالطرق الفنية " (١).

وكان للمخلتات والامراء اليد الطولى في العمل على انعاش هذا الفن

وانماضه وخاصة الخلفاء الامويون فجلبوا نوى الفواكه الشتوية من اقاصي البلاد وغرسوها وسموها

بين الناس كما فعل همد الرحمن واندخل بن معاوية حين انتهى قصر الرصافة لنزهه وسكنه كما

مر معنا مورحاً الجنان الواسعة ونقل اليها غرائب الخرويس واكام السجبر من كل ناحية، كما وارسل الرسل

الى بلاد الشام لجلب القوى المختارة والحبوب الغريبة وزرعها في جنائن القصر، ومدة قصيرة

نمت اشجار ملتفة الاغصان كيفية الاوراق جاءت بغرائب الفوائده ومن ثم تم عمومها في سائر انحاء

الاندلس .

(۱) مختصر تاریخ الحرب والتمدن الاسلامي امير سيد علي ۴۸۳

682 " " " " " " " (1)

(٣) النفع المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٢٢ - ٢٤



وهكذا أصبحت الاندلس اسعد بلاد الله بكثرة الثمار واصناف الفواكه كما جاء في النفع  
 " يوجد في سواحلها قصب السكر والموز ولا يعدم فيها الا التمر ، ولها من انواع الفاكهة ما  
 يعدم في غيرها او يعمل كالتين القوطي والتين السقري باشييلية . قال ابن سميعة وهذا صنفان  
 لم ترعيني لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالح والتين العنكي والتين  
 الحلي والرمان السقري والخوخ واللوز والجوز وغير ذلك ما يطول ذكره (١) . واختصت كل ناحية  
 من ولاي اندلس بفاكهتها الخاصة فقد اشتهر اهل جليانة من اعمال غرناطة باعتنائهم بالفنجان  
 المعروف بالجلياني المشهور بمظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذلك الرائحة والنقا (٢)  
 وهناك نوع يفوق الجلياني حجما يكثر في مدينة شنقرة من اعمال المرية كان يمدى للملوك والامراء (٣)  
 وكانت مدينة سرقسطة اطيب البلدان بقلعة واكثرها ثمرة لكثرة الفواكه في بساتينهم حتى لا يقوم ثمنها  
 بموتة نقلها لرخسها فيخذونها مرجينا يدمنون بها ارضهم . وهذه المدينة على قمة انهار  
 متصلة الجنان والبساتين واسعة الشوارع حسنة الديار والمساكن ومن فاكهتها العنب والتين و  
 والخوخ وحب الملوك والتفاح والاحاص ، ومن حبوبها القمح والفول والحبس (٤) . وفي لقنة فواكه  
 ومقل كثيرتين واعناب (٥) . واشتهرت لوزة بالزيتون ويقال ان في احدى نواحيها موضع معروف  
 من اراد ان يتخذ فيه جنانا صرف الى الموضع العناية بالتدبير والعمارة والسقي من النهر  
 فتنتب خصيبة (٦) . وفيه فنيانة قرب رادى آس جامعة خطيرة كثيرة الكرم والتوت والبساتين وضروب  
 الثمار وكان بها طراز الديهاج والمياه تطرده في جميع جناتها (٧) .  
 وتسمى " تدير " بابستان لكثرة جناتها المحيطة بها (٨) . وينبت في بلنسية  
 الزطران بها كثرى تسمى الازم ، في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاه الرائحة اذا  
 دخل دارا عرف برائحته (٩)

- |   |  |
|---|--|
| (١) النفع الطيب المجلد الاول الجزء الاول ٦٦ | (٢) النفع الجزء الاول طبعة يولاى ٧٤    |
| (٣) النفع الجزء الاول طبعة يولاى ٨٠         | (٤) الروس السعطار انجيري ١٨            |
| (٥) الحميني المجلد الاول ١٧٠                | (٦) النفع المجلد الاول الجزء الاول ٢٠٦ |
| (٧) الحميري ١٤٤                             | (٨) " " " " ٣٢١                        |
| (٩) النفع المجلد الاول الجزء الاول ٢٧       |  |

اما فاكهة العرمة فيقصر عنها الوصف حسنا (١) وطول وادبها اربعون ميلا

في مثلها فيها بساتين بهجة وجنات نضرة وانهار مطردة وطيور مفردة (٢) ويحصن تنشي على مرحلة من العرمة التوت الكثير وفيها الحرير والقرمز . (٣)

ويحصن بيشتري وما حوله كثير المياه والاشجار والثمار والكرام وشجر الزيتون والتهن

واصناف الفواكه (٤) . ويحيط بمدينة شلطيخ رياض واسعة واور عذبة وبساتين حسنة فيها اطيب

الصنوبر، وفيها مراعي خصبة الارض هناك شجر التفاح والكثيرى والتهن واللذان وضروب الفواكه (٥)

وتشير لورقه باللاتيني الزرع الخصيب (٦) . ومربط كثير الزيتون والشجر والاعناب واصناف الثمار

وتلقب "شودرا" بخدير الزيت لكثرة زياتتها (٧) . واشتهرت مرسية بالتهن وهي رخيصة الفواكه

كثيرة الشجر والاعناب واصناف الثمار (٨) .

وجود الموز وقصب السكر في شلوبينية (٩) . ومالقة التين الذي يضرب المثل

بحسنه ويجلب حتى للهند وقيل انه ليس في الدنيا مثله وقد ذكره الشعراء كثيرا (١٠) .

وفي مالقة اشجار النارج البديعة (١١) وهي كثيرة الخيرات والفواكه وقال احد الادباء "رايت

العنب يباع في اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدلاهم صغير ورماتها العري الياقوتي لا نظير له

في الدنيا وما التين واللوز فيجلبان منها ومن اجوارها الى بلاد المشرق والمغرب (١٢)

وفي طليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقه ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعم والالوان

في جميع جهاتها وقراها، ويؤمن ماء عذبة تصلح بها الالبان والقطاني (١٣) .

وجود القطن والعصفر بارض اشبيلية ومالقة وتقبلي هذه المدينة يوجد بساتين

تعرف بجنان الصلي وفيها قصب السكر (١٤) وكثير فيها الزيت والزيتون وهي كبيرة طامة لها

اسوار مجصنة واسواقها طامة وخلقها كثير واهلها مياسير وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به الى

المشرق والمغرب برا وبحرا فيجتمع هذا الزيت من الشرق وهو مسافة اربعين ميلا كلها في ظل

شجر الزيتون والتين ماوله مدينة اشبيلية وآخره مدينة لبله (١٥) .

(١) النفع مجلد اول جزء اول ٣١٨	(٢) النفع مجلد اول جزء اول ٣١٨
(٣) " " " " " ٣٢٠	(٤) الحميرى ٣٧
(٥) الحميرى ١٧١ - ١٧٢	(٦) " " " " " ١٧١ - ١٧٢
(٧) " " " " " ١٨١ - ١١٢	(٨) " " " " " ١٨١ - ١٨٣
(٩) الحميرى ٨١ - ١٨٣	(١٠ و ١١) الحميرى ١١١ و ١١٣
(١٢) المقرى المجلد الاول الجزء اول ٢٩٨	(١٣) المقرى مجلد اول جزء اول ٢٩٩
(١٤) " " " " " ٣٠٠	(١٥) الحميرى ١١١
(١٦) الحميرى ٢١	(١٧) " " " " " ١٩

ومن خواص مدينة شنترة القمح والشعير يزرعان فيها ومحمدان عند مضي اربعين يوما من زراعته ، ان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر وجاء في التفاح ان ابا عبد الله الهاكوري قال " ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على راسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة اشبار (١) ومدينة لارده مخصصة بكثرة الكتان وطيبه يتجهز بالكتان الى جميع نواحي الشفور (٢) . اما فحص البهري فهو من اطيب البقاغ نفعه واكبر الارضين ثروة " ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة الغبيم ولا تعلم شجره تستعمل وتستعمل الا وهي انجب شي " في هذا الفحص وما من فاكهة توصف وتشتطف الا هناك وجود فيها ما لا يوجد الا بالساحل من اللوز والمقصب السكر وما اشبههما ، وحرير فحص البهري هو الذي ينتشر في البلاد وهم في الافاق وكان هذا الفحص يربو جيدة على كتان النيل (٣) . وكانوا يجففون هذه الفاكهة ويحفظونها لوقت الحاجة " فقد كانت فواكههم الباهية

حامة العام متعددة يدخلون العنب سليما من الفساد الى شطر العام الى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز الى غير ذلك مما لا ينفذ ولا ينقطع الا مدة في الفصل الذي يزهد في استغماله " (٤) . وقد وصف شعرا " ونا الفاكهة والثمار بانواعها كما انهم اطروا الباقلا والخضروات ونباتات الكتان والحرير والقطن شيئا من التفاتهم وذكروها في اشعارهم وساتكلم باختصار من هذه الثمار وكيف وصفوها مثلة عن كل نوع ببعض الابيات لاعطي القارئ نظرة سريعة واضحة من ثمار الاندلس واثراها في نفس الشاعر الاندلسي .

## النارنج

احب الاندلسيون هذه الشجرة باوراقها الخضراء وازهارها واثمارها الصفراء المائلة الى الحمرة وكثيرا ما كانوا يجلسون تحتها يشربون ويطربون وينظمون الشعر وكماداتهم في قرض الشعر كان من واجبهم ان يصفوا المكان الذي هم فيه فقال ابن خفاجة يصف شجرة نارنج ووصف الشرب تحتها :

انعم فقد هبت النعاصي	ونبهت بها الخزامي
ومل الى ايكة بلبل	يهفوا هتازا بها قسداي
تعثر اعطافها القوافي	لها واكوابها النداي
كان انا بها روما	تعرض من شربها يستاصي (٥)

(١) التفاح المجلد الاول الجزء الاول ٣٢٠ (٢) الحميري ١٦٨

(٣) الحميري ٢٤ (٤) الاحاطة ٣٧

(٥) ابن خفاجة الديوان ١١٢

وقال ابن خفاجة ايها في وصف شجرة نارنج وقد خطب الطير على اخسانها اللدنة طربا ماء  
وانتصب الماء سرورا وبانت زرجد اثمرت بالذهب :

الا افصح الطير حتي خطب	وخف له الغصن حتي اضطرب
فعل طربا بين ظل هففا	رطيب وما هناك انتصب
وجل في الحديقة اخت المنى	ودن بالمدامة ام الطرب
وحاملة من بنات القسنا	اما ليد تحمل خضر العذب
تنوب مورقة من هذار	وتضحك زاهرة من شنب
وتتدى بها في مهب الصبا	زرجدة اثمرت بالذهب
تفاح انفاسها تارة	وطورا نغازلها عن كشب
فتبسم في حالة من ونفا	وتتظر اونه من غضب (١)

هتساءل ابن سارة فيما اذا كانت تمار النارنج حمرا على الاغصان ام خدود ابرزتها العوادج  
وهل اخسانها قصب تنبت ام قدود نواهم واخيرا يمتدى اليها فيجدها كرات عقيق في خوص  
زرجد و هل هي خدود في نظره ونوافح :

احمر على الاغصان ابدى نضارة	به ام خدود ابرزتها العوادج
وقصب تنبت ام قدود نواهم	اعالج من وجد بها ما اطالج
ارى شجر النارنج ابدى لنا جنى	كقطر دموع خرجتها اللواصج
جوامد لو ذابت لكنت مداومة	تصوغ البرى نيبها الاكف البواج

كرات حقيق في فصوص زبرجد بكف نسيم الريح منها صوالج

تقبلها طورا وطورا تشمها نهن خدود بيننا وتوافج

نهي صيوتي الا تصيح الى النهي مروس من الدنيا عليها دمالج (١)

ويظهر ان هذه الشجرة قد اصبحت ابن صارة والخفاجي فقال فيها ابن صارة :

يا رب نارنجة يلمو النديم بها كأنها كرة من احمر الذهب

او جذوة حملتها كف صاحبها لكنها جذوة معدومة اللهب (٢)

فقال الخفاجي وقد شبه الشجرة بحسناء تهبس باردية خضراء وقد خلع عليها الحياء حلي حمراء

ومياسة تزهو وقد خلع الحياء عليها حلي حمراء واردية خضراء

يذوب بها ريق الغمامة نضة صجد في اعطافها ذهبها نضرا (٣)

فاجاب ابن صارة :

ونارنجة لم يدع حسننها لعيني في غيرها مذهبها

فطورا اري ذهبها وضرا وطورا اري سفنا مذهبها (٤)

وهنا يلحق الفرج ايكة فيترك على ارجائها اثر :

ونبت ايك دنا من لشما قرح فصار منه على ارجائها اثر

يبعد لمينك منها منظر عجب زبرجد ونضار صامع العطر

كان موسى نبي الله اقبسه تارا وجرع عليها كفه الاخضر (٥)

وشبه ابو الحسن الصقلي الغصون بالقود والثمار بالخدود :

شعم بنارنجة الكجنتي فقد حضر السعد لما حضر

نيا مرحبا بقود الحصى ربا مرحبا بخدود الشجر

كان السماء همت بالنضار فصافت لها الارض منها آكر (٦)

وتبدو حبات النارج لاي الحسن الصقلي ككرات ذهب في صولجان زمر

ونارنجة بين الرياض نظرتها على فصوص رطب كقائمة اخيد

واذا ميلتها الريح مالت كاكرة بدت ذهبها في صولجان زمر (٧)

من هذه الامثلة القليلة نجد ان صور الشعراء لم تختلف في وصف هذه الفاكهة فهي

كرات ذهب ونضار وقطع جمر ملقحة حمراء في اوراق زبرجد وزمر على اخصان تثنتي كقوام الغيد

وقال احدهم في ليمونة وقد اهدت اليه

اهدي الي هروضة ليمونة وانشاء بالتشبه فعل السيد

نصمت حينما ثم قلت كجلجل من نضة تعلوه صفرة عسجد (٨)

(١) قلائد المعيان ٢٦٦ (٢) نفي جز ثاني طبعة ازهرية ٣٤٠ (٣) النبع جز ٢ ازهرية ٣٤٠  
(٤) ١١٢ (٥) ٣٤٠ (٦) ١١٢ (٧) ١١٦ (٨) ٢٥٩

## الرمسان

ولانتشار الرمان في الاندلس اسطورة لطيفة . قيل عندما ارسل عبد الرحمن الداخل رسوله الى الشام لاحضار اخيه الى الاندلس جلب معه طرائف من رمان الرصافة الضسوة الى هشام فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله ماهيا به وكان فيما بينهم وبينهم حضر منهم عبد سفر بن يزيد الكلابي من جند الاردن فاخذ من ذلك الرمان جزءا فسار به الى قرية بكورة به ، فعالج عجمه واحتال لغرسه وفدائه وتنقله حتى طلع شجرا اشمر وايمن فنزع الى عرفة واغرب في حننه . واحضر بعرض ثماره الى عبد الرحمن فاذا به هو اشبه شي بذلك الرصافي فسأله الامير عنه فعرفه وجه حيلته فاستبرج استبطاه واستنهل همته وشكر صنعه واجزه صلته واقترب منه بيمين الرصافة وبغيرها من جنانه فانتشر نوعه واستوسع الناس في غراسه وصار يعرف منذ ذلك الحين بالرمان السفري وهو ممتاز بمذاقه الطعم ورقة العجم وفراة الما وحسن الصورة (١) وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر في ابيات كتب بها الى بعض من اهداه له :

ولا به صدقا احمر	اتتك وقد ملئت جوهرا
كانك فاتح حق لطيف	تضمن مرجانه الاحمر
حبوبا كمثل لثام الحبيب	لا رضاها اذا شئت او منظر
وللسفر تعزى وما سافرت	فتشكر الفنى او تقاس الشوى (٢)

وشبه آخر حبات الرمان باسنان الليث الضرجة بالدم :

وساكنة في ظلال الغصون	بروخ يروك اسنانه
تضاحك اشراقها نيه اذا	فدا الجوتد مع اجسافانه
كما فتح الليث فاه وقد	تضج بالدم اسنانه (٣)

وقال ابن نزار الوادى اشى فيه :

ورمانة قد نشر عنها ختامها	حبيب اطرا البدر بعرض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب	وناولني منها شبيه لذاته (٤)

(١) النفع الجزء الرابع طبعة ازهرية ٤٦      (٢) النفع الجزء الرابع طبعة جديدة ١٤٦

(٣) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ٣٤١      (٤) " " الثاني " ازهرية ٣٤١

وتري صبية بحبات هندى الى ابن رافع فتقع عليه كمثل الجلجل او كرة قد تلت

من صندل

جلوزة من كف ظبي غزل  
او كرة قد تلت من صندل  
محمرة فوق بياض محتلى  
من حسنهما المستظرف المستكمل

في مطعم الشهد وعرف الصندل (١)

وقال ابو بكر بن القرطبية يشبه الفستق بالصدف الا يبيض فيه جوهر اخضر :

صدف ابيض نقي  
صفر من جوهر  
ذو بهاء وروى  
اخضر فيه مطبق

كل صبح يعوى الى  
لونه قيل فستقى (٢)

اما الصنوبر فيشبهه ابن رافع بجماجم العنبر

يا حسنه في العين من صنوبر  
يفلق عن حب اذا لم يكسر  
يحكي لنا جماجم من عنبر  
صندل ان شئت او محصفر

كامل اصداف نفيس الجواهر (٣)

اما القسم الثاني فيحتوى على الفاكهة التي لها نوى ولكنه لا يؤكل منها :

الرطب والتبروقد قال محمد ابن شرف القيرواني يشبهها بشرايت العقيق فمعت بالنضار

ومطبوخ بغير عبق ناز  
ترايبت تبدت من عقيق  
عزمت على جناء باهتكار  
تري لصفاء جواهرها نواها  
قد فمعت بنسفسار  
كالسنة العماير الصفار (٤)

وقال في التمر

اما ترى التمر يحكي  
مخازنا من عقيق  
في الحسن للنضار  
كانا زعفران  
قد فمعت بنضار  
يشف مثل كؤوس  
فيه مع الشهد جارى  
ملوثة من عسقار (٥)

(١)	النوهرى الجزء الحادى عشر	١٢	(٢)	النوهرى الجزء الحادى عشر	١٥
(٣)	" " " "	١٩	(٤)	" " " "	١٢٨
(٥)	" " " "	١٢٨			

وبعد الزمور لابن رافع جلاجل مخضوة او كرات عقيق :

- كانما الزمور لما بدا      في حسن تقدير ومراى انيق  
جلاجل مخضوة عندهما      او خرزات خرطت من عقيق  
يضع من رياه اما هفا      به نسيم الريح مسك فتيق (١)  
وقال ايضا :      انظر الى زمورنا النعموت  
كانه في الوصف والنعموت      بنادق من احمر الباقوت (٢)

وستهوى الخوخ في اثوابه المخملية انظار ابن القرطبة فيقول :

- وطيب الريق عذب آف في آب      وزار مشتلا في زى اعراب  
في مخمل التوب لم تحمل براسته      بين الفواكه من نفس ولا عاب  
خالسته نظرى فاحمر من خجل      ثم انتنى معرضا عني كسرتاب  
من اسمه فيه قلوبا ومبتدئا      ارسى على اللوزني شطرين جليا ب (٣)  
وقال ايضا يشبهه بوجنة فادة خافت الرقيب فغطت وجهها بحمر البنسان :  
ونبت ندى مخططة الامالي      بمحمر كلون الارجسوان  
كوجنة فادة خانت رقبيا      فغطتها بمحمر البنسان (٤)  
وما وصف به القراسيا ، وتعرف في الاندلس بحب الملوك :  
ودج تهدل اشطانه      روى الدهر من حسنه ما اشتهى  
لما احمرته نعوس عقيق      وما اسود منه عيون المسبا (٥)

واما الممشق فقد قال فيه احدهم يشبهه بجلاجل لبذهب

- كانما الممشق لما بدت      اشجاره وهو بها يلتهب  
خضر قباب الطلح خفت بها      جلاجل مصقولة من ذهب (٦)  
ويجذب لون العناب الاحمر انظار الشعراء فهو تارة وجنات معشوق حراء ، واخرى خرزات

- عقيق      احب بعناق بدا انيق  
او خرز لمت من العقيق      او كقلوب الطير في التحقيق  
جاءت بها شغواء راس نيق      كانما اشتق من الشقيق  
او كان يستقى بجنى الرحيق      احلى من السكر في الحلق  
في نكهة العنبر والخلوق (٧)

(١)	التويرى الجزء الحادى عشر	١٣٧	(٢)	التويرى الجزء الحادى عشر	١٣٨
(٣)	" " " "	١٤٠	(٤)	" " " "	١٤٠
(٥)	النفح الجزء الثانى طيبة ازهرية	٢٤١	(٦)	" " " "	١٤١
(٧)	التويرى الجزء الحادى عشر	١٤٣			



وتتدلى اثمار العناب على اشجاره كاقراط الياقوت

كانما العناب في دوحه  
لما تناهى حسنه فاستتم  
اقراط ياقوت تهدي لسنا  
او انمل قد طرفت بالعم (١)

بقي علينا الان الباب الثالث وهو الذي ليس لثمره قشرو ولا نوى وهو يحتوى على العنب والتين والتوت والتفاح والسفرجل والكثرى والاتيح وقد وصفها الشعراء باشكالها المختلفة ولم تتعد اوصافهم الشكل والرائحة واللون . وساكفي بتقديم امثلة قليلة على بعض هذه الثمار لتتكون لدينا صورة عامة عنها ونظرة الشعراء اليها . ولنجعل العنب اولها وقد وصفها الشعراء كثيرا واهتموا بها لان منها يستخرج الخمر

### العنب

قال ابن زيدون وقد اهداه :

قد بعثناه يفتح الاعمى  
حين يجلو بلفظه المحسنا  
جاء يزهز بمستشف رقيق  
خدع العين رقة وصفنا  
تنفذ العين منه في طرف نور  
ملأته ايدى الشمس ضيا  
اكسبه الايام برد هوا  
نهو جسم قد صبغ نارا وصاي  
مظري يهيج القلوب وطعم  
يسكر الناس بشده استعرا (٢)

واما في التين فقد قال ابن خفاجة ويظهر انه كان تينا اسود

وسود الوجوه كلون الصدور  
تبسم تحت عبوس الغمش  
اذا ما تعلق بياض الضحى  
تظلمن في وجهه كالنفس  
كانى انظف منه ضحى  
تدى صفار بنات الحبسش (٣)

ولما كان للتين عشاق كان له مفضون ايضا فقد قال ابن شرف القيرواني يذمه :

لا مرحبا بالتين لما اتى  
يسحب كالليل عليه وشاح  
مزق الجلباب يحكي لنا  
امة زنجي عليها جراح (٤)

(١) النهرى الجزء الحادى عشر ١٤٢

(٢) النهرى الجزء الحادى عشر ١٤٣

(٣) " " " " " (٤)

(٤) " " " " " ١٥١

ولا يذكر اللون الاحمر الا بالجراح

- انظر الى ثوب الجنان الذي يحكي جراحا دها سائل  
واقى به الناطور في جسم  
(١) لدى جسم من بني حسام
- وقد قال بعض الاندلسيين وقد اهداء  
فاهد يته غضا حكي صدق اليها  
لغة منظر بالبحسن منه يروق  
(٢) وهذا الاحمرار اللون منه عقيق

### التفاح

كثر التفاح في الاندلس كما راينا وقد كان يتعداه الخلفاء والامراء وطامة الناس  
وقد قال احد الشعراء في هدية تفاح نصفها احمر والنصف الثاني اصفر وقد شبهها شاعرنا بخدود  
حمر بعضها وجل التفاح

- خدود حممر واقينا صبا  
وعدن على ارتطاف واحتراق  
فحمر بعضها خجل الثلاثي  
(٣) وصف بعضها وخجل التفاح

وقال صفوان ابن ادريس يصف تفاحة في ماء

- ولم ارفيط تشتهي العين مشفرا  
كثفاحة في بركة بقرار  
ياض عليها ماؤها فكانت سها  
(٤) بقية غذي اخضرار عذار

وقال ابن زيدون وقد اهدى تفاحا ولم يختلف معناه وتشبيهه عن سبقه فيحمر التفاح كوجه الحبيب  
خجلا ويحمر وجلا

- اتك بلون الحبيب الخجل  
تخالط لون الحب الوجيل  
تطرت ضمن ادراكها  
هوا احاط بها معتمد  
تاتي لتدريج تلطفها  
فمن حرس الى برد ظل  
الى ان تناهت شفاء العليل  
وانس الخليل وهو الغزل  
فلو يحمى الراح لم يهدا  
قبولكها نعمة غصص  
وان هي ذابت فراح يجل  
(٥) وفضل بما جثته مستهل

وتختلف الصور عند ابن سميذ فهي تارة حسناء جاءت في حلة بيضاء مشرقة في حمرة كالثقاد النار  
وطورا حمرة مزجت بالما ، او نصف لؤلؤة اتصلت بها قوطة حمراء

- (١) البويري الجزء الحادي عشر ١٦٢ (٢) البويري الجزء الحادي عشر ١٦٢  
(٣) قلائد العقيان ١٤٢ (٤) التفاح الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٥٩  
(٥) نهاية الارب الجزء الحادي عشر ١٦٥

بديعة اللون من نور السرور بها      في كل حسن وطيب يخرب المثل  
جاءتك في حلة بيضاء مشرقة      في حمرة كاتقاد النار تشتعل  
او قهوة مزجت او نصف لؤلؤة      بنصف ياقوتة حمراء تتصل (١)

واشتهر تفاع الاندلس بحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء فقال احدهم يصف اريج التفاع  
مجال العين في ورد الخدود      يذكر طيب بنات الخلسود  
وأرجة من التفاع تسرهم .....      بطيب النشر والحنن الفريد  
اقول لها فضحت الميك طيبها      فقلت لي بطيب ابي الوليد (٢)

### المسفرجل

جمعت المسفرجلة في نظمة نظر الشاعر الاندلسي اربعة صفات جميلة

مسفرجلة جمعت اربعا      نظمن لها كل معنى عجب  
صفاء انفسار وطعم المقار      ولون المحب وريح الحبيب (٣)  
وتتراءى المسفرجلة لاخر كعساة تختال في ثوب صنع من السندس ، وقد تعطرت بمسك ذكي ،  
ويذكر لونها الاصفر بلون محب الذي قد نسي بحلة من السقم  
ومصفرة تختال في ثوب سندس      وتعبق عن مسك ذكي التنفس  
لها ربح محبوب وقبوة قلبه      ولن محب حلة السقم قد كسي (٤)

من هذه الفاكهة الاجاص فقال ابن بطال الاندلسي يصفه

بعثت ما يندر لكنه      في وصفه الناهض لم يبسر  
جيشا من الزنج ولكنه      جيش متى يلقي العدا تيفهر  
ينفي لك الصفراء مهزومة      والزنج اعداء بني الاصفر (٥)  
ولقد وصف الشعراء ثمر الاتيج وقد اعجبها لونها الاصفر ورائحتها الذكية فقال علي بن سعيد

الاندلسي      ومصفرة اللون لا من هوى  
ولكن كساها سمع العجير      تكايد منه علاقات همم  
واكسبها طيب نشر العبير      جلايب تبر يتضريح دم  
عروس تزف الى شاهبا      وريح الحبيب اذا ما يشم  
ولعل اجمل ما قيل في وصف هذه الثمرة قول ابو بكر بن القرطبية حين قال يصفها  
جسم من النور في ثوب من النار      كانه ذهب من فوق هلال  
وابيض باطنه واصفر ظاهره      كانه درهم من تحت دينار (٦)

(١) النويري جزء ١١ ص ١٦٦ (٢) التفاع جزء (٢) ازهرى ٣٥٠ (٣) النويري جزء حادي عشر ١٢٠  
(٤) " " " " " " (٥) النويري جزء (١١) ١٢٦ (٦) " " " " " " ١٨١  
(٧) " " " " " " ١٨٣

ولم يكف الشعراء بوصف النمار فقط بل تعرضوا الى وصف الاشجار . قال ابن خفاجة يصف شجرة مشورة :

يا رب مائسة المعاطف تزدهي	من كل فصن خافق بوشاح
ممتزة يرتج من اعطافها	ما شئت من كل يمح رداح
نفخت ذوائبها الرياح عشيبة	فتطكتها هزة المستراح
حط الريح قناعها من مفرق	شمط كما تتردد كاس السراج
لقاه حاك لها الغمام ملاءة	لبست بها حسنا قميص صباح
نضح الندى نوارها فكانمسا	مسحت معاطفها يمين سراح
ولوى الخليج هناك صفحة معرض	لثمت سوافها ثغور اقحاح

(١)

وقال ابن خفاجة ايضا :

وسرحة خاض منها ظلها نهرا	اوفت عليه فلم تنقص ولم تزد
كما تدانيت من ثغر لمرشف	ثم انتبيت فلم تصدر ولم ترد
كان اقنانها طيب حتى ملك	اغضى واحلى فلم يبعد ولم يمد

(٢)

وقال لخير يخاطب شجر السرو

ايا سرو لا يعطش منابتك الحيا	ولا يذعن اعطافك الخضر النضر
فقد كسبت منك الجذوع بمثل ما	تلف على الخطى راياته الخضر

(٣)

وهناك امثلة كثيرة في وصف الاشجار ولكنني ساكتني بهذا القدر القليل في الوقت الحاضر .

---

(١) ديوان ابن خفاجة ٢١ (٢) ديوان ابن خفاجة ٤٣ ٤٦

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٤١

كثرت الحدائق والرباض في الاندلس كما تقدم حيث كان يخرج اليها الناس لمتسامرون ومتجاذبون اطراف الحديث بقرب جدول ماء وتحت ظلال الاسجار، ويرجع الفضل في ازدهار هذه الرضا وانتشار هذه المنتزهات الجميلة الى الخلفاء والامراء الذين اظهروا وللا ولما خاصا في هذه الناحية فشيّدوا القصور الفخمة تحيط بها الجنائن والحدائق الرائعة وبنوا المنتزهات الخاصة والخاصة كما اشتهر عهد الرحمن الناصر بن الرضا ومنتزهاته (١) حاذيا حذو رصافة جده بارض الشام وقد كان مقرا حسنا تحيط به اندر الازهار واثمن الاثمار وقد كان كثير التردد اليه يسكنه اكثر اوقاته . وكما فعل الناصر (٢) ببناؤه لمدينة الزهراء للتنزه والسكن وكانت بمثابة منتزه يومئذ الناس للتنزه والترحيل عن النفس . والزاهرة تشهد على عظمة المنصور ابن عامر حينما ساء الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم (٣) \* واطلق بساحتها الاربا ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحججه فابتهوا بها كبار الدور وجليات القصور واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة والمنازه المشيدة . . . وتنافس الناس بالنزول باكتافها والحلول باطرافها للدنو من صاحب الدولة وتناهي الغلو في البناء حوله حتى اتصلت ارباضها بارياض قرطبة وكثرت بحوزتها الحماة (٤) \* واشتد ملك محمد ابن ابي عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الايام في تشييد ابنتها حتى كملت احسن كمال وجاءت في نهاية الجمال نقاوة بناء وسعة فناء واعتدال هوا رقى اديمه وصقالت جو اعقل نسيمه ، ونفحة بستان وبهجة للنفوس فيها افتتاح (٥)

وكثرت المنتزهات في قرطبة وضواحيها ، وقد بنى بنو امية قصر الدمشق في قرطبة \* وتفننوا في بناء وتنسيق ساحاته واتخذوه ميدان مراحمهم وضمار افراحهم وانشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق (٦) وقد انشد فيه ابن عامر بعد ان تنزه فيه هذه الايات ونسبها لبعض الصحفي

كل قطر بعد الدمشق يذم	فيه طاب الجنى ولذ الضم
منظر رائق وماء نعيم	وثرى عاطر وقصر اشيم
بت فيه والليل والفجر عندي	عنبر اشهب وسك احسم (٧)

- (١) النفع الجزء الرابع المجلد الاول طبعة جديدة ١٢٣ (٢) النفع مجلد اول جزء ٤ ٢٧٣  
 (٣) الخامس ٨٦ (٤) ٨٨ - ٨٧  
 (٥) ١٣٠ (٦) ٩٠  
 (٧) ١٣١

وهناك منتزه يعرف " بمنية الزبير " ابن المثلث م ملك قرطبة وهو بستان جميل تجري فيه  
الانهار وتكثر الانوار والازهار وقد قال فيه ابن بقي يذكره بالخير :

سقى الله بستان الزبير ودام في	ذراه مسيل النهر ما غنت الورق
فكائن لنا من نعمة في جنبه	بكثرة الخضراء طالعتها طلسق
خو الموضع الزاهي على كل موضع	اما ظله ضاف اما ماؤه دفسق
اهيم به في حالة القرب والنوى	وحق له مني التذكر والعشيق
ومن ذلك النهر الخفوق فواده	بقلبي ما غبت عن وجهه خفسق (١)

وهذا يدل على مقدار حب الاندلس لهذه المنتزهات الجميلة . ومن القصور المقصودة للنتزه  
ايضا القصر الفارسي (٢) ومن المنتزهات المشهورة مرج الخور (٣) ولقد قال فيه الشعراء النبي  
الكثير وهناك فحص السراي وهو من منتزهات قرطبة المشهورة وهو " مقصود للفرجة يسرح فيه  
البصر وتبتهج فيه النفس وقد قال فيه الاصم القرطبي (٤) :

الا قدموا ذكر العذيب وبارق	ولا تساموا من ذكر فحص السراي
مجر ذبول الشكر من كل شرف	ومجرى الكؤوس المتواتر السوابق
ايا طيب ايام تقضت بسروضة	على لح غدران وشم حسدائق
اذا غردت فيها حمام دوحها	تخيلتها الكتاب بين المهارق (٥)

وهناك منتزهات كثيرة جميلة منها الحلى ، ووادى العقيق ، والمرج النضير ،  
وادى الديار ، وطحا ، حيدون والعقاب ومن شهدة وغيرها . ولولا غلظ خوفي على القارى  
من الطلل لذكرت جميع هذه المنتزهات الخلافة التى ضاقت بها الاندلس وغلظها الشعراء  
بقصائدهم . وكانت هذه المنتزهات ملجأ امينا لطلاب المتعة ورواد اللهو والسرور يذهبون اليها  
مع حبيباتهم وخلانهم يقضون النهار في لهو ومرح وقد صور لنا ابن عبود الرياحي يوما من هذه  
الايام الجميلة بموشحة لطيفة :

بالله يا حبيبي	اترك ذا النسفار
واعد ان نطيب	في هذا النسفار
واخرج معي للوادي	نشرب العقار
نتم نهارنا	في لذة وطيب
في الارحاح والا	في المرج الخصيب

- |                                       |                                       |         |         |
|---------------------------------------|---------------------------------------|---------|---------|
| (١) نفع مجلد (١) جزء ٤ طبعة جديدة ١٣٨ | (٢) نفع مجلد (١) جزء ٤ طبعة جديدة ١٣٨ | (٣) ١٣٧ | (٤) ١٤١ |
| (٥) . . . . .                         |                                       |         |         |

او عند التواخير      والروض الشرسق  
او قصر الرافسة      او وادي العقيق  
رحيق والله دونك      هو عندى الحريق  
وفي حبك احسبت      في اهلي فغريب  
وما الموت عندى      الا حين تغيب (١)

ولا عجب اذا ان يظل صاحبنا سرورا مبتهجا ما دام قد اجتمع لديه الماء والخضراء والشكل الحسن والله در الشاعر حين قال :

ثلاثة تقضب من النقى الحزن      الماء والخضراء والشكل الحسن .  
وهناك شعراء لم يكتفوا بقضاء النهار في هذه المنتزهات بل كانوا ياتون الليل في سر وفرض  
الشمر . وقد بات ابو الحسن بن سعيد مع اولاده في حوز مؤمل في جنة له هناك على و  
بيت عليه اهل الظرف والادب فقال في ذلك :

رضي الله ليلا لم يزعج بهضم      عشيته وارانا بحوز مؤمل  
وقد نفعت من نحو نجد ارجة      اذا نفعت هبت بها القرنفل  
وفرد قمرى على الدنج وانتى      قضيب من اللبحة من فوق جدول  
يرى الروض سرورا بها قد بدا له      هناق وحم وارتشاف قهسل (٢)

فقلت مجيبة

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا      ولكنه اهدى لنا الفل والحسد  
ولا صفق النهر ارتياحا لقرنا      ولا غرد القمرى الا لما وجد  
فلا تحسبن الظن الذي انت اهلكه      في صوغ كل المواطن بالرشد  
فما خلت هذا الاقنى اهدى نجومه      لا مرسوى كي وا تكون لنا لا رصد (٣)

وهذا شاعر آخر يذكر منتزه الحوز وينصح الذهاب اليه ان يومه في الصباح قبل ارتحال الندى\*  
وان ياخذ معه المغني والراح

خرج على الحوز وخيم به      حيث الاماني ضائيات الجناس  
واسبق له قبل ارتحال الندى      ولا تتره دون شاد او راح

ان هذه البلاذ الجميلة العذبة هي التي طبعتم ابناها على حب الله وطلب المتعة ،  
فقد كان على بن محمد بن شفيح البسطي يقول \* لو طبعتم على الزهد لحملني حسن بلاذى على  
المجون والتعشق والراحات (٤) فلا عجب اذا ان نرى منتزهات الاندلس ملاهى بمجالس الطرب والشراب  
يتسابق اليها الامراء والخلفاء قبل عامة الشعب وكانت تزدان هذه المجالس بالنكات الادبية والظرف  
الجم يتناشد فيها الشعراء فيها عيون الشعر بل كثيرا ما كانوا يرتجلون القصائد البليغة حتى ان

الكثير من هؤلاء الشعراء كانت لا تهيج قرائحهم الا اذا جلسوا الى الشراب فقال احدهم يشرب  
وصف المنتزه الذي جلس فيه :

هات المدام فقد ناح الحمام على	فقد الظلام وجيش الصبح في غلب
واعين الزهر من طول البكا رمدت	فكحلتها يمين الشمس بالذهب
والكاس حلتها حمراء مذهبة	لكن ازرتها من لؤلؤ لا الحبيب
كم قلت لللاقى لما ان بدا حلقا	بشمسه عندما لاح من الحجب
ان تمت بالشمس يا افق السجاء فلي	شمسان تدبني واهنة العنكب
قم اسقينيهما وشفر الصبح يمتسم	والليل تبكين من البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد	قامت لترثيه الاطيار في القضب (١)

وقال آخر يطلب الشراب في هذه المجالس ولعل اللؤلؤ المنتور وثوب الذهب هما اللذان دفعا به الى

الشراب : قم اسقينيهما وليل الهم منهزم والصبح اعلام محمرة العذب  
والسحب قد نثرت في الارض لؤلؤها تضمن الشمس في ثوب من الذهب (٢)  
 واجتمع ابو جعفر مع ابن سيد في احدى هذه المنتزهات وقد جلسا للشراب ، فقال ابو جعفر وقد قارت  
الشمس للغروب ومد لها في النهر معصم مخضوب

انظر الى الشمس قد العقت على الارض خشنا -

فقال ابن سيد :	هي المرأة لكن	من بعد ما الاتى بهذا
فقال ابو جعفر :	مدت طرازا على النهر	عندما لاح بردا
فقال ابن سيد :	اهدت لطرفك مسنه	فلأكام يمدى
ابو جعفر :	درج اللجين عليه	سيف من التبر مسدا
ابن سيد :	فاشرب عليه هنيئا	وزد سرورا ومسدا

في النهر والى النجم قد طلعت فيه فقال ابن سيد :

اخلع على النهر ثوب الكرى فذلك واجيب  
ابو جعفر : وانظر الى السرج فيخ كالزهر ذات الذوائب  
وحين صفى لللاقى نقطته الكواكب

فقبل ل ابن سيد راسه وقال ما تركت بعد هذا مقالا لقال ثم جعلوا يشربون فقال ابو جعفر

اسقينني والافق برد	بنجوم الليل معلم
ابن سيد :	وساط النهر منها وهو نفي صدرهم



فقال ابو جعفر: وساط الليل مرخى والشذا بالليل قد نس  
 ابن سيد: والندى في الزهر منشو رعلى مفقد منظم  
 ابو جعفر: والمبا جرت على ميت الطلى كف ابن مرس  
 ابن سيد: كان مبهوتا فلما نفخت فيه تكلم  
 ابو جعفر: وكان الكاس والقهوة دينار ودرهم  
 ابن سيد: وبدا الدف يناقسي العود والمزمار هم  
 ابو جعفر: فاذاغ الانس مسنا كل ما كان مكتم  
 ولما طلع الفجر قال ابو جعفر:  
 نشر الليل عسقوده ونضا الليل بروده  
 ابن سيد: وبدا الصبح بوجهه مطلع فينا مسجوده  
 ابو جعفر: فغدا ينشئ سر لما فتر الليل يستنوده  
 ابن سيد: فهل اشرب وقيل من غدا ينطق هو د (١)

ولا يقدر ابن حمديس ان ينسى طبقة بلاده لحظة واحدة حتى ولا الخمر تقدر ان تفصله عنها ، فهو يحب الطبيعة في كل وقت وللطبيعة سحر ودلال بوللطبيعة روعة وجمال ولا يطيب له الخمر الا في جوها الاخاذ

طرفت والليل مدود الجنداح مرحبا بالشمس في غير صباح  
 فالغضب اهتز والبدر هدا كاهن ما ضم للكون للوكر جناح  
 وكان الغرب منها ناشق باقة من ياسمين او اقحاح  
 وكان الصبح ذا الانوار من ظلم الليل على الظلماء لاح

فكل ما في هذا الكون الجميل قد تحرك وثار وهدت زينتة ، افلا يحق للانسان ان يقبل على

الخمر فيطرب مع هذا العالم الطروب ؟

في حديق غرس القيت به عبق الارواح موشى البطاح  
 تعقل الطرف ازاهير به ثم تعطيه ازاهير صراح  
 ارضع الغيم لبنا بهانه فتربت فيه قامات الصلاح  
 كل غصن تعترى اصطافه رعدة النشوان من كاس اصطباح

ولم يختلف ابن خفاجة شاعر الطبيعة عن زميله ابن حمديس ، واليك هذه المقطوعة الجميلة يصف الطبيعة في رحاب الخمر فيقول :

ندى النسيم فما ارق واضرا      وهذا القضيبي فما اقضر وانضرا  
نزفتها بكرا اذا قبلتها      القت على وجهي قناعا احمر  
ورفت بين قميص نسيم هلهل      ورداء شمس قد تنزق اصفرا  
والريح تنخل من رذاذ لؤلؤها      رطبها وتفتق من غمام غميرا (١)

فقال آخر طلب الشراب :

قم يا نديم ادر على القرقا      اروما ترى زهر الرهاض غفورا  
فتخال محبها مدلا وردها      وتظن نرجسها محبا مدنا  
والجلنار دما قتلى معرك      والياسمين حباب ماء قد طفا (٢)

وكن مقيما منه حيث الصبا      تمتاز سكا من اريج البطاح  
والقضب مال البعض منها على      بعض كما يثني القدود ارتياح  
وشق جيب الصبر قصف اذا      شقت جيب الظل منه الرياح  
لم احص كم قاديته ثابتا      واسترقصتني الرواح عند الرواح (٣)

وهذه المنتزهات عند البعض معاهد للحسن زواطن للجمال وملقى الانس والبهجة حيث تسجع فيها  
الطيور وتتجلى فيها البدر

واهن معاهد للحسن نفسها      وللانس النقاء البهجتين  
وللاوتار والاطيار فيسها      لدى الاسحار اطيب سلجمين  
فكم بدر تجلى من رباها      ومن بطحاتها في مظلمين  
واغيد يرتعي من تلعبتها      ومن ثمر القلوب قمر تعبين  
اذا هي لسوسه يمينها      هجت من النقاء السوسنين  
وكم يوم توشح من مناء      ومن زاهرتها في حلبيتين  
وراح اصيلة من بين نسهر      ودولاب يدور بمسممين  
بنهر كالسما يجول فيسه      سحائب من ظلال الدوحين  
تدري للنواسم حين هزيت      عليه كل ضمن كالرديين  
ملاص في غرامي عند ذكرى      حباء وشفقة المتلاعبين (٤)

وكثيرا ما كانت هذه المنتزهات تثير في قلب الشاعر مواطن كاشفة فيهددها على اوتار الشعر الجميل  
بنغمة سحرية طيبة . فيقول ابو الوليد الجنان بن الطب بانه الوادي :

- (١) ديوان ابن خفاجه (٢) النفع الجزء الاول الطبعة الازهرية ٣١٤  
(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٠٠ (٤) " " الثاني " " ٣٤٢



فمعجبت للآزهار كيف تضامك  
وتسرلت حللا تجر ذيولها  
فلقند اجاد الفز في انجادها  
ما نصف الخيرى يمنع طيبها  
وهي التي قامت عليه بدنتها

ومنها وهي سماء الباسمين كواكب  
زهر توتد ليلك ونهارها  
فضلت على سير النجوم بأسرها  
فتفارجت ارجاؤها بهيولها  
وتصوت فيها نروع جدا ول  
تطفو وترسب في اصول ثارها

ومنها

او ما ترى الازهار وما من زهرة  
والطير قد خفت على اقنانها  
تشدو وتمتر الغصون كأنما  
الا وقد ركبت فنار قضيبها  
تلقى فنون الشدوي اسلوبها  
حركاتها رقص على تطريبها

(١)

---

### ١ - الجداول والانهار - السواقي والغدران

بطاح خضراء\* يانعة وسفوح تنمونها الازاهر ، وادواح ملتفة رقص الطير على اقصانها .  
وانهار تنفجر من اعالي الجبال بصخب وزمجرة الى جداول رقراقة تنهادى وتتمايل مخترفة المروج الخضراء\*  
كالحملان الوديعه الى اخرى تتعطف وتتلوى كالاراقم . وترسل الشمس اشعتها فتغلها بغلالة ذهبية  
رقيقة ، والفرى يضى سناء\* مطوقا فيكسبها جلالا وروعة . وتحنو الاشجار على الضفاف فتسيل وتنثني مداعبة  
وتضحك الزهور والاقاحي على الجوانب مسرورة مبهجة . وامام هذه الفتنة الصارخة وهذا الجمال الاخاذ  
لا يتمالك الشاعر الاندلسي الا ان يصيح من اعماق قلبه :

تلك المنازل والملا  
حيث التفت رايت ما  
والنهر يفصل بين زه  
كساط وشي جودت  
حب لا اراها الله محلا  
• سائحا ورايت طلا  
الارض في الشطين فصلا  
ايدى القيون عليه نصلا (١)

جزيرة احدثت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جانب وكثرت بها الانهار والعيون حتى قال ابن اليسع " ولا يذود فيها احد ما حيث سلك لكثرة انهارها وعيونها وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد اربع مدائن ومن المعاول والقرى ما لا يحصى وهي بطاح خضر وقصور بيض (٢) \* ومن انهارها العظيمة نهر اشيلية كما جاء في النسخ فليس في الارض اتم حسنا من هذا النهر ، يضاهي دجلة والفرات والنيل ، وكانت القوارب تسير في هذا النهر للفرجة والسير والصيد تحت ظلال الشجر وتفريد الاطيار اربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ في عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وابراج مشيدة وفيه من انواع السمك ما لا يحصى (٣)

ولعل احسن ما قيل في وصف الاندلس هو شعر ابن سفر المريني اذ يقول :

في ارض اندلس يلتذ نعماء  
 انهارها فضة والمسك تزيئها  
 وللهوا بها لطف يرق به  
 ليس النسيم الذي ينفو بها سحرا  
 وانما ارج الند استثار بها  
 ولا يفارق فيها القلب سراً  
 والخز وجنتها والدر حصبا  
 من لا يرق وتبد منه اهوا  
 ولا انتشار لآتي الطل اندا  
 في ما ورد فطابت منه ارجا

(١) النفع المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٧٢

82 (2)

AT " " " " " " (2)

الى ان يقول :

قد ميزت من جهات الارض حين بدت      فريدة وتولى ميزها الما  
دارت عليها نطاقا ابهر خفتت      وجدا بها ان تهدت وهي حسنا  
بذاك يبسم فيها الزهر من طرب      والطير يشدو وللانصان اصفا  
فيها خلقت عذارى ما بها عوض      فهي الرياض وكل الارض صحرا (١)

وسا هو جد ير بالذكر ان الاندلس معدومة الصحارى

وترى شغف الاندلسي بطبيعة بلاده . قول ابن اللبانة يصف مدينة ميورقة بمائها الجارى من

غير توقف ، وقد اصبحت هذه المياه بنظره خيرا .

بلد اعارته الحمامة طوقها      وكساء حلة ريشه الطاووس  
فكانما الانهار فيه مدامة      وكان ساحات الديار كوكوس (٢)

نعم لقد فتح هذا الجمال الطبيعي الخلاب مجالا واسعا لشعرائنا فوصفوا وابدعوا في الوصف ،  
ولعل الفضل يرجع في الدرجة الاولى الى جمال هذه المناظر البديعة التي الهبت الشعور وحركت القرائح  
والتي هي جديرة بان تخلق الشاعرية خلقا في نفوس هؤلاء الشعراء . فلقد كانت مهمة الشاعر الاندلسي  
الرئيسية مهمة المصور البارع فهو يهيم في الطبيعة ويحسها احساسا عميقا يعبر عنه بريشة سحرية ،  
يستعير ألوانها من لجين الما . وذهب الاصيل وظلال الاشجار وبياض الحباب وزرقة السماء وحمرة الاثمار .  
فيجمع شاعرنا هذه الالوان ويمزجها مزجا فنيا في قصيدة وصفية رائعة كما فعل ابن صارة الاندلسي اذ  
يصف نهرا رقراقا ينساب بتوادة ، ويتلوى في منعطفات ومنعرجات مختلفة ، حيث يقل ماؤه فتروق غلالة  
خصره

والنهر قد رنت غلالة خصره      وطيء من صبغ الاصيل طراز  
تترقق الامواج فيه كأنها      عكن الخصور تهزها الاعجاز (٣)

ويقف شاعر آخر امام هذا النهر فتختلف نظراته اليه ويختلف تشبيهه ، فغلالة هذا النهر من  
فضة ، وهذا النهر متقلب لا يستقر على طريقة واحدة او اسلوب واحد في الجرى ، فتارة يجرى سيلًا  
فيتبفر الثوب من فضة الى نضار ، وتارة يستقيم في جريه فيصبح صفحة منصل واخرى يستدير متخذًا شكل  
هطاف السوار

(١) النفع المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٨٧

(٢) الطبيعة في الشعر العربي - نوفل ٢٦٠

(٣) النفع المجلد الاول الجزء الرابع ٢٠٤

والنهر مكسور غلالة فضة فاذا جرى سيلاً فتوب نزار  
واذا استقام رايت صفحة منصل واذا استدار رايت عطف سوار (١)

وشبهه آخر بالمجرة

والنهر مثل المجرة صفا به من الندامى كواكب زهر (٢)

ومما يلفت النظر ان الشعراء اكثروا من تشبيهات المياه بالمعدات الحربية . فالنسائم وما تتركه  
فوق المياه من غصون وتجاويد شبهوها بالدروع . كما اكثروا من تشبيه الانهار بالمهند المصقول في حال  
عدم مرور النسيم فوقه . ولعل الحروب الكبيرة والثورات المتواصلة في بلادهم اثرت في نفوسهم وعقليتهم  
وجعلتهم ينظرون الى المعدات الحربية كشيء جميل يجب على الانسان ان يفتخر به ويتشبه به لان بواسطتها  
كانوا يحمون بلادهم ويحافظون على مجدهم وعزهم من كيد العدو . ومن هذه التشبيهات :

لله بهجة منزله ضربت به فوق الغدير رواقها الانسام

فمع الاصيل النهر درع سابغ ومع الضحى يلتاح منه حسام (٣)

وهنا يمر النسيم فوق هذا النهر فيصبح النهر كالدرع الواسع بينما يصنع الحباب له زردا

مررنا بشاطي النهر بين حدائق بها حدق الازهار يستوقف الحدق

وقد نسجت كف النسيم مفاضة عليه وما غير الحباب لها حلقى (٤)

ولا بن العطر في هذا المعنى يصف قديرا :

هب الريح بالعشي فحاكت زردا للغدير ناهيك جنة

وانجلي البدر بعد هد فصافت كفة للقتال منه اسنة (٥)

وفي الابيات الآتية يشبه ابن العطار النهر وقد وقع عليه الظل بالقراب . والقسم المكشوف بالسيف :

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه حباب على عطفه وشي حباب

والاحسام جال فيه فرند له من مديد الظل اى قراب (٦)

ولا بن مالك في المعنى ذاته ايضا :

ورب يوم وردنا فيه كل منى وقل في مثل ذاك اليوم ان نردا

في روضتين بشاطي سلسل شهم كما اجتليت من المحبوب مفتقدا

يبعد والقطر في اثنائه حلقا فتتظم الريح من فوقه زردا (٧)

(١) النفع المجلد الاول الجزء الرابع ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٨

(٣) المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٢١٦ - ٢١٧

(٤) المجلد الثاني ٢١٨

(٥) قلائد العقبان ٢٨٤

(٦) ٢٨٣

(٧) النفع المجلد الاول الجزء الثاني الطبعة الجديدة ٢١٦

ويستريح جري المياه في ناحية أخرى انتباه شاعر آخر فيشبهها بانسياب الراقم فيقول اذ  
يصف جلسة جميلة :

في حيث تناسب المياه اراقما وتعيرك الانيا برد ظلالها (١)

**وقال آخر :**

انظر الى الماء كيف انحط في صبيه كأنه ارقم قد جد في هربه (٢)  
ان هذه البلاد الجميلة التي اضاواها طبق المنى وهواؤها يشتاقه الولدان اثرت في  
طبع اهلها ودمت اخلاقهم واصبحوا يعشقون الجمال ويميلون الى اللهو والرح ويقول شاعرهم في هذا  
القطر الجميل :

اضاؤه طبع المنى وهو اوه  
والطبع معتدل فقل ما شئت

يشتاقه الولهان في الاسحار  
في الظل والازهار والانهار (٢)

ولذلك فكثيرا ما كان اهل الاندلس يخرجون الى هذه الانهار والغدران والبحيرات وما احتواها من بساتين ورياض يقضون بها حياتهم واوقاتهم ويغفون صبيحتهم وامسياتهم على ضفافها يمزحون ويلهون وكثيرا ما كانت تستهوى هذه المناظر الخلابة طلاب المتعة واللذة ان يقضوا اياما يتعاطون الشراب ويتقارضون الشعر ويصحبهم القيان والمغنون فيستمعون الى انغام مغنيتهم تارة والى شدة الطيور وخريف المياه اخرى .

وقال ابن سراج في ذلك وقد خرج مرة مع خلان له الى ضفاف احد الانهر ففوضا يومين على ضفافه في احسن عيش يتعاطون الشراب ويتفارضون الشعر :

رضى الله فتيانا انست بقرهم  
اقننا به يومين في خفض عينه  
تدور القوالي بيننا نستحثها  
وفي الشجرات الخضر منه رقيقة  
اذا ما تغنت فوقنا قلت قينة  
سبتي بصوت لو يباع اشترته  
على جدول للما فيه خور  
ولا عيش الا قهوة وقدير  
وكأس الحميا بالسور تدور  
لنغمتها بين الضلوع هدير  
تلاها بصوت مثلتان وزير  
هما مر من عمرى وذاك يسير (٤)

وقال في احدى هوالا القيان وهي تغني على جربة ما وهم يشربون ويلهون :

- (١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٠٥  
(٢) " المجلد الاول الجزء الاول ٦٠  
(٣) " الجزء الثاني ٢٠١  
(٤) الذخيرة القسم الاول المجلد الثاني ٢٧٠



ومسمة تغتينا ارتجالا وتعجبنا بنغمتها دلالا

وبين اكفنا جمر وما اذا ما سال خلت الدر سالا (١)

وقال ابن السراج ايضا : " كنت يوما على جربة ما " في موضع حسن يحار فيه الطرف ويقصر عنه الوصف  
واقمنا هنالك اياما في اطيب ميسر واطرف منظر " (٢)

شرينا على ما كان خروبه خوردموي عند رؤية ازهر

حلفت بعينيها لقد سفكت دمي باطراف فنان والحافظ جوذر (٣)

وازهر هذه هي حبيبته .

ووصف احدهم منظرا جميلا . يتخلله نهر . وقد طوقته الازهار التي بللتها الاندا . وكست

الشمس الارض الخضراء بغلائل ذهبية وقد جلس واخوات له للهو والغرب والشراب :

تم فاسقتي والرياض لابسية وشيا من النور حاكه القطر

والشمس قد عصفت غلائلها والارض تندى ثيابها الخضر

والنهر مثل المجر حف به من الندامى كواكب زهر (٤)

وفي جلسة لهو ومتاع قال شاعر آخر :

عطف القضيبي مع النسيم تميلا والنهر موشى الخمائل والحلى

تركته اعطاف الخصون مظلا ولنا عن النهج القديم مضلا

امسى يخازلنا بمقلة اشهل والطرف اسحر من ثراء اشهلا (٥)

وركب احدهم نهرا فوصف بهوره النهر مشبها سطح النهر بالسما وحبابه بالنجوم . وظلال

ادواجه الكثيفة الملتفة على جوانبه بالبر وخيوط الشمس الذهبية المتسللة خلال هذا الرداء بالوشى

والرقوم :

عبرنا سما النهر والجو مشرق وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد البسته الايك برد ظلالها وللشمس في تلك البرود رقوم (٦)

وركب ابن صارة مع اصحاب له في نهر اشبيلية " في عشية سال اصيلها على لجين الما عقباننا

وطارت زواريقها في سما النهر عقباننا وابدى نسيمها من الامواج والدارات سرورا واعكاسا في زورق يجول

جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف " (٧)

(١) الذخيرة القسم الاول المجلد الثاني ٣٧١

(٢) " " " " " ٣٦٣

(٣) " " " " " ٣٦٣

(٤) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٠٨

(٥) " " " " " ٢٨٩

(٦) " " " " " المجلد الاول الجزء الخامس ٢٩٥

(٧) " " " " " الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٣

تأمل حالنا والجو طلق      محياء وقد طفل المساء  
وقد جالت بنا عذرا حبلى      تجاذب حرطها ريح رخا  
بنهر كالسجنجل كوثرى      تعيس وجهها فيه الشما (١)  
واتفق ان وقف ابن خفاجة على القطعة واستفطر منها فقال يعارضها على وزنها ورويتها وطريقتهما (٢)  
الا حبذا ضحك الحميا      بهانيتها وقد عيس المساء  
وادهم من جباد الما مهر      تنازع جلده ريم رخا  
اذا بدت الكواكب فيه فرقى      رايت الارض تحسد ها السما (٣)  
وهنا شاعر آخر يصف اصيل يوم قضاء بالخيف والنهر ينساب انسياب المذعور وهبوب الريح تولد على  
على صفحات الما موجات تسفر بدورها عن الحباب وقد نبت على شفتيه قضب لدنه تحاكي قدود الحسان  
وازهر النور واخضر النبت .

يوم لنا بالخيف راق اصيله      كما راق تبر للعيون مذاب  
نعننا به والنهر ينساب ماؤه      كما انساب ذهرا حين ربح حباب  
وللموج تحت الريح منه تكسر      تولد فوق المتن منه حباب  
وقد نجمت قضب لدان بشطه      حكمتها قدود للحسان رطاب  
واينع مخضر النبات خلالها      كما اقبلت نعى وراق شباب (٤)  
اقبل اهل الاندلس على هذه المنزهات وهاموا بطبيعتها الفتانة وقد يصيح احدهم معبرا عن  
هذا الجمال الفتان ، ومن ايام سعبدة قضاها في ربوع احد الانهار فيقول :  
ايا طيب ايام تقضت بروضة      على لمح قدرا ن وشم حداثق  
اذ غردت فيها حمام دوحها      تخيلتها الكتاب بين المهارق (٥)  
وما اجمل القمر والشمس حين يرسلان اشعثهما على ما النهر فهذا يفضض وذاك يذهب  
الا حبذا نهر اذا ما لحظته      ابن ان يرد اللحظ عن حسنه الانس  
تري القمرين الدهر قد عنيا به      يفضضه بدر وتذهب شمس (٦)

- 
- (١) النفع الجز الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٣  
(٢) " " " " " ٢٠٣  
(٣) " " " " " ٢٠٩  
(٤) قلائد العقيان " " ١٧٢  
(٥) الطبيعة في الشعر الاندلسي - نوفل ٢٦٢  
(٦) النفع الجز الثاني الطبعة الازهرية ٤٣٩

ويضفي البدر بهما السني فيقول ابن صارة :

انظر الى البدر واشراقه  
على غدير موجه يزهر  
كشحن من مجر اخضر  
خط عليه ذهب احمر (١)

وترسل الشمس زعفرانها اصيل يوم فتصيح النهر :

انظر الى النهر في ردا هوس  
صبغته بزعفران العشي  
ثم لما هب النسيم عليه  
هز عطفيه في دلاء الكي (٢)

ولا يتعدى ابن خفاجة في وصفه نهرا سائلا في السهول والبطاح ما يقوله زملاؤه ولكنه يرى هذا  
النهر الذي رق كأنه قرص الفضة وقد انفرغ في الثوب الاخضر انه اشهى الى قلبه من شفاء الحسان .

لله نهر سال في بطحا  
اشهى ورودا من لس الحسناء

متعطف مثل السوار كأنه  
والزهري يكفه مجر ساء

قد رق حتى ظن قرصا مفرا  
من نضة في بردة خضراء

وقد تحف به الفصون كأنها  
هدب يحف بمقلة زرقاء

ولطما عاطيت فيه مدا  
صفراء تخضب ايدى الندما

والريح تعبت بالفصون وقد جرى  
ذهب الاصيل على لجين الماء (٣)

ومن جميل ما قيل في الانهار قول ابن سقر في نهر اشبيلية وهو نهر عظيم يصعد المد فيه اتني

وسبعين ميلا :

شق النسيم عليه جيب قميصه  
فانساب من شطيه يطلب ثاره

فتضا حكت ورق الحمام بدوحها  
هزا فضم من الحيا ازاره (٤)

وهذا التشبيه جديد ومبتكر

ولعل اجمل ما قيل في الانهار قول ابن حمديس المغربي يصف نهرا بالصفاء وهو يسيل في

روضة وقد انعشه الهواء العليل فظهر ما يكنه ضميره ، ويمر على الحصا فتجرحه وتولمه فيشكو اليها  
اوجاعه والآلمة بخبره :

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٣٩

(٢) " " " " " " " " (٣٤٠)

(٣) ديوان ابن خفاجة ١٦ - ١٧

(٤) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ١٥٠

ومطرود الامواج يصقل منته صبا اعلنت للعين ما في ضميره

جريح باطراف الحصى كلما جرى عليها شكا اوجاعه بخبره

كان حبابا ريع تحت حبابه فاقبل يلقي نفسه في غديره (١)

وتتجلى روح الابداع والابتكار عند ابن حمديس عندما يصف نهرا ينبعث من عين ما فيقول :

ومرو صدى الروضات يسحب ذائبا على الارض منه جملة تتبع (٢)

ويتامل ابن حمديس ويتمعن النظر في صور الطبيعة فيرى النهر جاريا مهترا وكأنه قروا ينفضه النسر .

ثم ينساب كأنه حية تطول وتعرض . واذا ما مرت عليه الريح اصبح عمودا منقوشا بل يحود فيجعل من

هذا الغدير روحا يحيي الجسم وينفضه . وتتطبع نفسه الحزينة في هذا النهر وتحول مياهه

الى دموع عين لا ينقطع معينها ابدا .

اذا ما جرى واهتز للعين مزيدا حسبت به قروا من النسر ينفض

وتنساب منه حية غير انها تطول على قدر الحساب وتعرض

وتحسبه ان حبكت منته الصبا عمودا علاه النقش وهو مفضض

له رعدة تعتاره في انحداره كما تبسط الكف العنان وتقبض

كان له في الجسم روحا اذا جرى به نهضة والجسم بالروح ينفض

وما هو الا دمع عين كأنها لطول بكا دهرها لا تخمض (٣)

ويقول في النهر ايضا :

ولا يس ثقب الاعراض جوهره له انسياب حباب رقصه الحبيب

اذا الصبا زلقت فيه سنا بكها حسبت منصلا في منته شطب

وردته ونجوم الجومائلة كما تدحرج درما له ثقب

ومضرب طعنته غير نائية اسنة هي ان حقتها شهب (٤)

ومشرق كماء الشمس في يده ففضة الما لن القائها ذهب (٤)

ومع ان ابن حمديس لم يجدد في تصاويره وتشابيهه ولم يختلف عن زملائه الشعراء بتصوير الطبيعة ،

الا انه يشفع له صدق العاطفة وشدة شغفه بالطبيعة ، فانه يضي عليها الحياة ، ويجعل لها روحا

تتعشها ، فما الانهار الا ارواح تحيي الرياح والرياحين ، وما ريع الصبا الا لسان صب ترسلته

الروضة مطيبا ليشكر الانهار وقال في ذلك يصف غديرا شقه نهر :

(١) النفع المجلد الاول الجزء الرابع الطبعة الجديدة ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) ديوان ابن حمديس

(٣) " " "

(٤) " " " ٢٤

وزرقاً في لون السماء تنبهت	لتحيكها ربح تهب مع الفجر
يشق حشاها جدول متكفل	يسقي رياض اليست حلل الزهر
كما طعن المقدام في الخرب دارعا	بعضب فشق الخصر منه الى الخصر
يريك رؤوساً منه في جسم حية	سعت من حياة في حدائقه الخضر
فلا روضة الا استعارت لشكره	لسان صبا تسرى مطيبة النشر (١)

## ٢ - البحيرات والبحار

احدقت البحار بجزيرة الاندلس ، ولهذا نرى الشعراء يتجهون الى البحر ويصفون الاساطيل والسفن الجارية فيه ، وقد تفنن كثيرون منهم في اوصافها وبخاصة ابو عمر القسطلي وابن خفاجة وابن الابر ، وابن وهيون .

ومما نلاحظه ان الاندلسيين كانوا يرهبون جانب البحر ويتجنبون ركوبه ، وربما يرجع هذا لعدم توفر الاسباب لتأمين السفر ، بل يرون في ركوبه اكبر المصائب وافظع الاهوال ، ولا يقحمونه الا اذا اضطروا الى ذلك اضطرارا ، ويصف لنا المقرئ صاحب النفع ركوبه البحر وسفره الى المشرق وما لاقاه من احوال ومخاطر . فيقول " ركبنا البحر وحللنا السحر والنحر وشاهدنا من احواله وتناهي احواله ما لا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جدا لا جعلت حاجتي اليه

ليس ما ونحن طين فما عسى صيرنا عليه ؟ (٢)

وسعود فيصف امواجه والريح القوية التي هبت عليهم " فكم استقبلتنا امواجه بوجوه بواسر ، وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر قد ازعجتها اكاف الريح من وكرها كما نهبت اللجج من سكرها فلم تبق شيئا من قوتها ومكرها ، فسمعنا للجبال صفيرا ، وللرياح دوا عظيما وزفيرا وثبقنا ان لا نجد من ذلك الا فضل الله مجيرا وخفيرا " واذا مسكم الفتر في البحر ضل من تدعون الا اياه وامننا من الحياة ، لصوت تلك العوصف واليماء فلا همم الله ذلك الهوى المزيج ولا يباء والنوح يصفق لسماع اصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب فكأنه من كأس الجنون يشرب او شرب ، فيستعد ويقترب بفرقة تلتطم وتصطفيق ، وتختلف ولا تكاد تتفق ، فتخال الجو يأخذ بنواصيها وتجذبها ايديه من نواصيها حتى كاد سطح الارض يكشف من

(١) ديوان ابن حمديس ١٥٦

(٢) النفع المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ١٥

خلالها وثمان السحب يخطف في استقلالها والشرع في قراع مع جيوش الامواج التي امدت منها الافواج  
بالافواج ونحن مقود كدود على عود بين فرادى وازواج . وقد نبت بنا من المغلق امكتنا وخرست من الفرق  
السنتنا ، وتوهمنا انه ليس في الوجود اغوار ولا نجوم الا السما والماء وذلك السفين ، ومضى في قبر  
جوفه دفين \* (١)

وفي ركوب البحر يقول ابو عمر القسطلي وهو متوجه الى سرقسطه ولا يختلف رايه في ركوب البحر عن  
المقرى فيقول مخاطبا الخليفة خيران العامري صاحب المريه

اليك شحنا الفلك تهوى كأنها	وقد نذرت من مغرب الشمس غريان
على لجج خضر اذا هبت الصبا	ترامى بنا فيها تبيرو تهللان
مواثل ترمى في ذراها جمللا مواثلا	كما عبت في الجاهلية اوتان
وفي طي اسمال الغرب غرائب	سكن شفاف القلب شبيب وولدان
يرددن في الاحشا حر مصائب	تزيد ظلاما ليلها وهي نيران
اذا غيضا البحر منها مددته	بد مع عيون تترصد من اشجان
وان سكنت عنها الرياح جرى بها	زفير الى ذكر الاحبة حنان
ثقلن وموج البحر والهم والدجى	تموج بنا فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا	سوى البحر قبراو سوى الماء اكلان (٢)

وفي البحر يقول القسطلي ايضا :

مررت بسوس والنجم كأنها	توقد من فكري وتسرح من ذهني
واسمرت من بدر الظلام بالبة	بصحبة مطفي الجمر او مكفي الظعن
لبسنا بها ليلا من الثلج ايضا	كسته يد الشنبر ثوبا من القطن
ورحنا على البيرة فاستقل بي	جناح عقاب لا يروح الى وكن
ولما تنكبنا المنكب لم نجد	لنا مركبا اهدى سبيلا من السفن
ترامت بنا الاحوال في كل لجة	تخيلها جوا تجلل بالدجن
تري السفن فوق الموج فيها كأنها	تحد من رهن وتوفي على رهن (٣)

ولقد كان للعرب اسطول في الاندلس فتفنن الشعراء في وصفه ومن ابرع اوصافهم للسفن قول ابن  
يزيد بن عبد الله بن خالد :

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ١٧

(٢) الذخيرة القسم الاول الجزء الاول ٧٤ - ٧٥

(٣) ٣١٥ . . . . .

- ويا للجوارى المنشآت وحسنها  
اذا نشرت في الجوّ اجنحة لها  
وان لم تهجه الريح جاء مصافحا  
مجاذف كالحيات مدقّرة وسدا  
كما اسرعت عدا انامل حاسب  
هي الهدب في اجفان اكل اوطف
- وقال عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صامح  
هام صرف الردى بهام الاعداء  
وتراست بشورها كعيون  
ذات هدب من المجاذيف حـ  
حم فوقها من البيض نار  
ومن الخط في يدى كل در
- ولابي الحسن بن حريق في هذا المعنى :  
وكانما سكن الاراقم جوفها  
فاذا راين الماء يطنج نضضت
- وقال آخر يصف الشراع :  
ولها جناح يستعار بطيرها  
يعلو بها حدب العباب مطاره  
يسمو باخر ذى الهواء منهب  
يتنزل الملاح منه ذواية  
وكانما رام استراقة معقد
- وقال ابو عمر القسطلي ايضا :  
وحال الموج بين بني سبيل  
اغرله جناح من صباح
- طوائري بين الجوّ والماء عوما  
رايت به روضا ونورا مكما  
فعدت له كما خصبيا ومعصما  
على وصل في الماء كي تروى الظما  
بقبحر وسط يسبق العين والفما  
فهل صفت من عديم اوبكت دما (١)
- ان سمت نحوهم لها اجياد  
دايها مثل خائفها سهاد  
ك هدب باك لذمعه اسعاد  
كل من ارسلت عليه رما
- الف خطها على البحر صا (٢)
- من عهد نوح خشية الطوفان  
من كل خوفة حبة بلسان (٣)
- طوع الرياح وراحة المتطرب  
في كل لج زاخر مقلوب  
هريان منسرح الذواية شوب  
لورام يركبها القطا لم يركب  
للسمع الا انه لم يشهب
- يطهر بهم الى الصوب ابن ماء  
يرفرف فوق جنح من سما (٤)

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٧٢

(٢)

(٣)

(٤) النفع المجلد الثاني الطبعة الازهرية ٣٧٣

وقال ابن خفاجة :

يخبر من الصباح بها جناح	وجارية ركب بها ظلما
علا من موجه رد و رداح	إذا الماء اطمأن وراق خصرا
واثلج جيدة لاجل المناخ (١)	وقد فغر الحمام هناك فاه
وقال عبد الجليل ابن وهيون يصف الاسطول :	
بنت الفضاء الى الخليج الازرق	يا حسنهما يوما شهدت زفافهما
لك كيف شئت من الحمام الاورق	ورقا كانت ايكة فتصورت
وكأنه من غرة لم ينعق	حيث الغراب يجر شملة عجيبة
حسب اقتدار الذائع المتانق	من كل لابس الثياب ملافة
اسماؤها فتصغفت في المنطق	شهدت لها الايمان ان شواهدنا
وعلى معاطفها وهادة سودى	من كل ناشرة قوادم اجنح
وزحفن زحف مواكب في مأزق	زارت زئير الاسد وهي صوامت
نزلت لتكزع من غدير مناقى (٢)	وبجاف تحكي اراقم ربوة

### ٣ - الاحواز والنواميسير

تعلم من الفصول السابقة ان الخلفاء والامراء اولعوا بالناحية العمرانية فتنفخوا وغالوا بتجميل المدن واشادة الابنية الفخمة واولعوا بناحية خاصة وهي رؤية البهاء تجرى على مختلف الاشكال والانواع فزينوا القصور بحدائق غناء مسوجة بالعرائش والكروم تزخر باشجار الناكهة ومختلف الزهور واجروا من تحتها الجداول والانهار العذبة . واسالوا الخدران الصافية في البيوت والمنازل . كما اقاموا القنوات العديدة ليجلب المياه العذبة من الجبال المجاورة وتوزيعها في كل ساحة من ساحات المدينة . وتوسطت الشوارع النوافير الجميلة التي كان ينبثق الماء منها فتبعث في النفس الغبطة والسرور كما فعل الناصرخين جلب المياه العذبة من جبل قرطبة الى قصر الناعورة في مناهر مهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجرى ماؤها بتدبير عجيب " (٣) ينساب ماؤها الى بحيرة عظيمة اقيم عليها اسد عظيم الصورة

(١) النسخ المجلد الثاني الطبعة الازهرية ٣٧٤

(٢) " " " " " " ٣٧٤

(٣) " " الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٥٣



ويظهر ان اهل الاندلس كانوا يستعملون الدواليب والنواوير البساتين وقد استرعت انتباههم خصوصا المياه المندفعة منها التي كانت تذكرهم بالدمع المتساقطة من العين - وقال ابو جعفر بن وضاح في دولا ب :

وياكية والروض يضحك كلما	الحت طيه بالدمع السواجم
يروقك منها ان تاملت نحوها	زئير اسود والثقاف اراقم
تخلص من ما* الغدير سبائكا	فتبتتها في الروض مثل الدراهم (١)

وقال ابو الحسن بن سعد الخير :

لله دولا ب يفيض بسائل	في روضة قد اينست افتانا
قد طارحت بها الحمام شجوها	فيجيبها ويرجع الالحانا
فكانه دنف يدور بمعهد	يبكي ويسأل فيه عن بانا
ضاقت مجارى طوفه عن د معه	فتفتحت اضلاعه اجفانا (٢)

ووصف احد هم نامورة فقال :

وذات حنين ما تغيف جفونها	من اللجج الخضر الصواني على شط
فتبكي فتحيي من دموع جفونها	رياضا تبديت بالازاهر في بسط
فمن احمر قان وصفر فاقع	وازهر مبيغ وادكن مشمط
كان ظروف الماء من فوق متنها	لاكي جمان قد نظمن على قوط (٣)

وهكذا نجد ان الشعراء في جميع هذه الاوصاف لم يجاوزوا الشكل فانهم لم ينفذوا الى اسرار

البحار والانهار يرسمونها ويصفون عليها ألوان الفن كما فعلوا في غيرها من ألوان الطبيعة . كما ان تشبيهاتهم للمياه كانت محصورة جدا فلم تتعد تشبيه المياه بالدروع والسيوف والحلق والزرد والاراقم والمجرة والبلور (المجلى) كما حصروا تشبيه صوت المياه وخريرها بزئير الاسود وفناء الطيور .

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٤١

(٢) " " " " ٣٤١

(٣) " " " " ٢١٠

وكانت الاحواض والمصاريح تصنع من المرمر المنقوش او من النحاس كما كانت في القصور تصنع من الذهب الابريز والفضة . ويحكى انه اجتمع ثلاثة من الشعراء وهم ابو جعفر بن سعيد ، والكندي وابن نزار في جنة بهية وفيها صريح ما قد احدث به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وطيخ انبوب ما تتحرك به صورة جارية راقصة بسيف وطيخ ورغام يصنع في انبويه الماء صورة خبا . فقالوا نقسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال ابو جعفر يصف الراقصة : (١)

وراقصة ليست تحرك دون ان	يحركها سيف من الماء مصلت
يد وربها كرها لتتضي صولها	عليه فلا تعب ولا هو يبهت
اذا هي دارت سرمة خلت انها	الى كل وجه في الرياض تلتفت (٢)

وقال ابن نزار في خبا الماء :

رايت خبا الماء ترسل ماها	فنازها هب الرياح رداها
تطاوله طورا وتعصيه تارة	كراقصة حلت وضعت قباها
وقد قابلت خير الانام فلم تنزل	لديه من الملايا تبدي حياها
اذا ارسلت جود امام يمينه	ابن العدل الا ان يرد اباها (٣)

وقال الكندي في الصريح :

وصريح تغال به لجينا	يذاب وقد يذهب الاصيل
كان الروع يعشقه فمعه	على ارجائه ظل ظليل
وتضده اكف الشمس مشقا	دنانيرا فمعه لها قبول
اذا زفع النسيم القشب منها	فحينئذ يكون لها سبيل
وللنارنج تحت الماء لما	تبدي عكسها جمر بليل
ولليمون فيه دون سبك	جلال زخرفت نصبا تجول
فيا روضا به صقلت جفوني	وارهف سننه الزهر الكليل
تتأثر فيك اسلاك الغواص	وقبل صنع جدواك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا	من الاكياس والكأس الشمول
يعجم بهم نسيم الروع الفا	فمن وجد له جسم عليل (٤)

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٩٠

(٢) . . . . . ٢٩٠

(٣) . . . . . ٢٩٠

(٤) . . . . . ٢٩١

- وكانها ترمي السماء ببندق  
لوعاد ذاك الماء نطقا احرق  
في بركة قامت على حافاتهما  
نزعت الى ظلم النفوس نفوسها  
وكان برد الماء منها مطفي  
وكانما الحيات من افواهها  
وكانما الحيتان اذ لم تخشها  
وقال احد الاندلسيين يصف بركة عليها فورات :  
غضبت مجاريها فاطهر فيظها  
وكان نبع الماء من جنباتها  
قضب من البلور اثمر قرعها  
وفي هذا المعنى قال ابن حمديس يصف نهرا كما سبق :  
ومطرّد الامواج يصقل متته  
ويصف ابن سارة بركة فيها سلاحف :  
لله مسجورة في شكل ناظرة  
فيها سلاحف الهاني تغاصها  
تنافر الشط الآجين يحضرها  
كانها حين يهددها تصرفها  
وقال الاعشى التطيلي في اسد نحاس يقدف الماء :  
اسد ولواني انا \_\_\_\_\_ نقشه الحساب لقلت صخره  
فكانه اسد السماء \_\_\_\_\_ يعج من فيه المجرة (٥)  
ولبعضهم في شكل يرمي الماء مجوفا مثل الخبا وتمزقه الريح احيانا :  
ومطّقب للماء ما اوثاره  
لعبت به ايدى الصبا فكانها  
ايدي الصباة بالفواد العاشق (٦)

(١) النفع المجلد الاول الجزء الرابع الطبعة الجديدة ١٩٦

(٢) " " " " " " ٢٠٤

(٣) " " " " " " ٢٠٥

(٤) ثلاثه العقيان ٢٧١

(٥) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٩٢

(٦) " " " " " " ٣٤٠

ثم ينتقل الشاعر الى وصف تلك الشجرات الذ هبية والفضية المثقلة بالثمار العجيبة وقد رقد  
الطير على افصانها . كما مجت هذه الطيور بدورها الماء من مناقيرها فانسابت كاللجين الخضر النسيم  
او خيوط فضة ، كما كان صغير المياه المتدفق كالتغريد ، اما قطرات الماء المتساقطة من افواهها فكانها  
لؤلؤ منشور فوق زبرجد :

وبديعة الثمرات تعبر نحوها	هناى بحر عجائب مسجورا
سجيرة ذ هبية نزعت الى	سحريو ثر في النهى تائيرا
قد صوبحت افصانها فكانها	قبض بهن من الفضاء طيورا
وكانا لوقع طيورها تاي لوبع طيرها	ان تستقل بنهضها وتطيرها
من كل واقعة ترى منقارها	ماء كسلسال اللجين نمبرا
حرس تعد من الفصاح فان سدت	جعلت تغرد بالمياه صغيرا
وكانا في كل فصن فضة	لانت فارسل ضبطها مجورا
وتريك في الصهرج موقع قطرها	فوق الزبرجد لؤلؤ منشورا (١)

وصف ابن حمد بن بركة اخرى تجرى اليها المياه من شاذوران من افواه طيور وزرافات واسود وكل  
ذلك في احد القصور العظيمة ، وان اختلفت كلمات هذه القصيدة عن سابقتها غير انها لا تختلف عنها  
البته في الصور والتشبيه :

والماء منه سباتك من فضة	ذاب على درجات شاذوران
وكانا سيف هناك مشطب	القت يوم الروح كف جبان
كم شاخص فيه يطيل تعجبا	من دوحة نبتت من العقيان
عجبا لها تسقي الرياض بناعيا	نبعت من الثمرات والافصان
خصت بطائرة على فتن لها	حسنت فافرد حسننها من ثان
من الطيور الخاشعات بلافة	وفصاحة عن منطق وبيان
فاذا اتيج لها الكلام تكلمت	بخبر ماء نائم الهملان (٢)
اوفت على حوض لها فكانها	منها على العجب العجائب رواني
فكانها ظنت حلوة مائها	شهدا فذاقته بكل لسان
وزرافة في الجوف من انبوسها	ماء يريك الجرى في الطيران
مركوزة كالريح حيث ترى لها	من طعنة الخلق انعطاف سنان

بديع الصنع شديد البرودة يجوز الماء الى مؤخره فيدفعه الى البحيرة وبجانبه شمال لانسان هائل يصب الماء على الاسد ومن ثم يتحول الماء الزائد الى النهر بعد ان تنال الماء المدينة كفايتها .  
واليك ما فعل المامون بن ذى النون عندما شاد قصره العظيم في طليطلة فقد اثقته الى الغاية وانفق عليه اموالا طائلة ، وصنع في وسطه بحيرة وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على راس القبة بتدبير احكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من اعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضها ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة من ماء سكب خلفه الزجاج لا يفتقر عن الجرى ، والمامون قاعد فيها لا يمسه من الماء شيء ولا يصله وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب (١)  
وقال ابو محمد المصري يصف البركة والقبة عليها :

شمسية الانساب بدورية      يحار في تشبيهها الخاطر  
كانما المامون بدر الدجى      وهي عليه الفلك الدائر (٢)

ولعل اجمل ما قيل في وصف البرك قول ابن حمديس الصقلي يصف بركة عليها اشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه ، وقد ريخت اسود على جوانبها ثقب المياه الصافية من افواهها ، وكانما خير المياه المتدفقة زفير تلك الاسود الجبارة انني تتاهب للهجوم والشمس ترسل اشعتها النارية عليها فتخال الماء المنساب من افواه هذه الاسود نارا والسنها نورا او سيوف سلت ولكمها هادت فذايت بلا نار وتحولت الى مياه جارية :

وضراغم سكنت عرين ريشه      تركت خير الماء فيه زئيرا  
فكانما غشى النضار جسمها      واداب في افواهها الهلورا  
اسد كان سكونها متحرك      في النفس لو وجدت هاك مثيرا  
وتذكرت فتكاتهما فكانما      اقمعت على ادبارها لتثورا  
وتخالها والنس تجلو لونها      نارا والسنها اللواحسن نورا  
فكانما سلت سيوف جداول      ذابت بلا نار فعدن شديرا (٣)

ولم يختلف الشعراء في تشبيه النسيم وما يتركه على صفحة الماء من غضون وتجمد سواء كان في النهر او البرك فالصورة في نظرهم واحدة :  
وكانما نسج النسيم لمائه      درط فقدر سردها تقديرا (٤)

(١)	النفح	المجلد	الاول	الكجز	الرايع	٢٨٤
(٢)	"	"	"	"	"	٢٨٦
(٣)	"	"	"	"	الطبعة الجديدة	١٨٦
(٤)	"	"	"	"	"	١٨٧

## الجبال والوديان

### ١ - الجبال

يلاحظ بشي من الدهشة ان "الجبال" رغم كثرتها في الاندلس لم تكن لتؤثر في الشعراء او توحى اليهم بالشئ الكثير لذلك لا نرى لها اثرا كبيرا في قصائدهم . واذا ما ذكرت فيشي من الحذر والخوف والرهبة لا تحببا اليها او تغزلا فيها . وتبدو هذه الظاهرة عند اكثر من شاعر . ولعل المناظر الغريبة للبساتين المنتشرة هنا وهناك والانهر المتسابة كالانهار في الوديان النظرة والمروج الخضراء ، كل ذلك شغل الشعراء عن التغزل بالجبال . وقد يحق لشاعر كابن خفاجة ان يرهب منظر الجبل وقد انتصب كالجبار في وجه المسافريناطح بقمه اعالي الفضاء ويقف بوجه الاطصير من كل جانب ويزحم ظلام الليل بمنكبيه مرتفعا في وسط سهل مقعر كانه مفكر وقف في ظلام الليالي الطوال يتسأل عن معاني الاشياء تاركا للغيم والبرق ان تحيك حوله عمام سوداء بذوائب حمراء :

وارعن طماع الذوائب باذخ يطاول اعنان السماء بنار

يسد مهب الريح عن كل وجهة ويزحم ليلا شبيه بالمناكب

وقور على ظهر الغلاة كانه طوال الليالي مفكر في العواقب

يلوث عايه الغيم سود عمام لها من وميض البرق حمر ذوائب (١)

وتغفل الشاعر ان الجبل يحدثه عن اشياء عجيبه رغم صمته وسكونه فيصفني اليه في هدأة الليل وهو يقول : الا كم كنت ملجأ المجرم ووطن النارب المتبتل من العالم نحوريه . وكم من مرة مر المسافرون امامي لا يعلمون الى ليل ام الى نهار هم سائرون ١١١ كل هؤلاء شاهدين وحاولت ان ارد هم مع العواصف ولكن كل هذه الكائنات طوتها يد الموت وصبت بها رياح الفرقة والشقاء

وكم مر بي من مدلج وموؤب وقال بظلي من مطي وراكب

ولاظم من نكب الرياح معاطفي وزاحم من خضر البحار غواري

فما كان الا ان طوتهم يد الردى وطارت بهم ريح النوى والنوايب (٢)

ويتعمق الشاعر في انطاق الجبل فيحمله على التفكير في الحياة والكائنات اذ يقول : واذا ما سمعت خفقان الروض على سفحي الهادي فاصغ الى تنهدات قلبي المتعب ، واذا ما رايت المآتي مني قد جفت فلا تقل انني سلوت ، ولكنني نزلت دموعي على فراق احبتي .

(١) ديوان ابن خفاجة ٢٧

(٢) ابن خفاجة ٢٧

فما خفق ايكي فيرجفة انما صاحي      ولا نوح ورتي فير صرخة ناد ب  
وما فيض السلوان د معي وانما سا      نزفت دموي في فراق الصواحب (١)  
وسترسل الجبل في تساوله ود هشته الى متى      سيظل على حاله يودع الكوكب تلوا الكوكب والى  
متى سيبقى مكانه بينما يظعن الاصحاب .      فيتضرع الى الله لنوال رحمته .  
فحتى متى ابقي ويطعن صاحب      اودع منه راحلا غير آيب  
وحتى متى ارعى الكواكب ساهرا      فمن طالع اخرى الليالي وغارب  
فرصاك يا بولاي دموعه ضارع      يمد الى نعماك راحة راغب  
وكاني باين خفاجة قد وجد في هذا الجبل الصامد خير واعظ ومسل وصديق في سره اذ يقول :  
فاسمعني من وعظه كل عبرة ~~يخرجها~~      يترجمها عنه لسان التجارب  
فسلنى بما ابكى وسرى بما شجى      وكان على عهد السرى خير صاحب  
وقلت وقد تكبت عنه لسطية      سلام فانا من مقيم وذاهب (٢)  
ويذكر ابن خفاجة جبلا اخر فلا يختلف رايه فيه مما رايناه في المثال السابق فهو يرد فيه موطن  
الذعر وبراء في شموخه وطموحه مقطبا عابسا رغم ضحك البدر الذي يشرق من فوقه  
واشرف طماح الذؤابة شامخ      تنطق بالجوزاء ليلا له خصر  
وقور على مر الليالي كانما      يصيح الى نجوى وفي اذنه وقر  
تمهد له كل ركن ركانة      فقطب اطرافا وقد ضحك البدر  
ولان به نسر السماء كانما      يحن الى وكر به ذلك النسر  
ثم يتساءل ابن خفاجة وقد رايه صمته وسكينته عن علة وقره اسببها كبر سنه ام كبرياؤه وشموخه  
فلم ادر من صمت له وسكينته      اكبره سن وقرت منه ام كبر (٣)  
وفي الاندلس جبال عديدة متنوعة بعضها خصب تكثر فيه الاشجار المشورة كالتفاح والكمثرى والخوخ  
واشجار الزيتون او اشجار لا تثمر تستعمل للاخشاب والبعض الآخر قاحل مجذب موحش يرمي الرهبة  
في القلوب ، وانه من المدهش المستغرب الا توحى هذه الجبال بشيء لشعراثنا رغم كثرتها وجمال  
بعضها كما يتضح لنا من ذكر صفاتها كما وردت في مصادرها الاولى فهناك جبال قلعة ايوب (٤)  
وينحدر منها نهر عظيم في مدينة سرقسطه (٥) وفي غربي اشبيلية جبل الشرف وهو شريف البقعة كريم

(١) ابن خفاجة ٢٧

(٢) الديوان ٢٧

(٣) ديوان ابن خفاجة ٦٤

(٤) صفة جزيرة الاندلس - الحميدى - نشر لاني بروفينسال ١٦٣٠

(٥) صفة جزيرة الاندلس - الحميدى - نشر لاني بروفينسال ١٦٣٠

التربة دائم الخضرة لاتصل الشمس الى ارضه لكثافة اشجاره واشتباك اصاصتها (١)

وهناك الجبل الذي ينته الورث الذكي الحطر والسنبيل الرومي الطيب (٢) وهناك الجبل

العظيم المنيف الكثير المسارح والمياه حيث ينمو وينبت فيه شجر التفاح العجيب وتتضوع منه روائح العود

الذكي (٣) وشكيمير جبل الثلج المشهور واحد مشاهير جبال الارض ينزل به الثلج شتاء وصيفا وينساب

منه ستة وثلاثون نهرا من فوهات الماء وتنحس من سفوحه العيون وهو في غاية العلو يتصل بالبحر

المتوسط (٤) وقد نضل ابن صاره الشاعر دخول جهنم على العيش في برد اذ يقول :

يحل لنا ترك الصلاة بارضكم وشرب الحميا وهو شي محرم

فرارا الى ارض الجحيم فانها احن علينا من شكير وارحم

فان كنت ربي مدخلي في جهنم فني مثل هذا اليوم طابت جهنم (٥)

وهناك الدجبال التي ينبت فيها البنفسج بطهره (٦) وجبل شبيه الشامخ الذي ينبت اصناف

الازاهير واجناس الاناويه والعقاقير (٧) وجبل العروس (٨) والحيون (٩) والقرود (١٠) والكحل (١١)

وجبل الكهف (١٢) الاجود يقول فيه عبد الملك بن ادريس المعروف بالجزيري حين سجنه المنصور في احد

ابراجہ :

في راس اجود شاهق عالي الذرى ما بعده لسوء كل من مصر

ياؤى البيع كل امور نافع وتنب فيه كل ربح ضرر

ويكاد من يرقى اليه مرة ومن دهره يشكو انقطاع الابر (١٣)

وفي جبل طارق الذي يقرم قبالة الجزيرة الخضراء ويفصل البحر بينهما بقول مطروق شاعر غرناطة :

يعرفون نحو الافق وجهها كانا تراقب عناء كواكب منزل

واقود قد التى على البحر ممتنه فاصبح من قود النجبال بمنزل (١٤)

(١)

(٢) صفة جزيرة الاندلس - الحميدى - نشر لافي بروفتنمال ١٠٥ (٩) الحميدى ٣٥ ، ١٦٦

(٣) " " " " " " " " " " (١٠) ١٠٥ " " " " ١٦٦

(٤) " " " " " " " " " " (١١) ١١٢ " " " " ٤٥

(٥) " " " " " " " " " " (١٢) ١١٢ " " " " ١٢٤

(٦) " " " " " " " " " " (١٣) ١١٣ " " " " ١٢٥

(٧) " " " " " " " " " " (١٤) الطبيعة في الشعر العربي ١٤٩

(٨) " " " " " " " " " " سيد نوفل ٢٦٠ ١٥٣



وفي الاندلس جبال ينبت فيها الزيتون المتناهي في الجودة (١) ومنها جبل زهرهون ومنه تنبجس العيون وفيه تكثر اشجار الزيتون وفيه يقول احد الشعراء وقد حاول وصف الطبيعة باشجارها الجميلة وهوائها العليل ومائها الطيب ، وورودها الحمراء الخجلى وازاهيرها الباسمة فوق الغصون ، ولمع البرق في انحاء ضاحكا ، فيبكي عذاب عيونه بعيون +

بالحسن من مكثاسة الزيتون	قد صح عذرا الناظر المقتون
فضل الهواء وصحة الماء الذى	يجرى بها وسلامة المحزون
سحت عليها كل عين ترة	للغن هامية الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين اباطح	وافتر ثغر الزهر فوق غصون
جبل تضحكت البروق بجوء	فبكت عذاب عيونه بعيون
وكانما هو بربرى وافد	في لوحه والتين والزيتون (٢)

وهكذا فان ذكروا الجبال فبشيء من الخوف والوجل وشيء من الحذر .

## ٢ - الاودية

ولم تقل الوديان في الاندلس في اشجارها وكثرة اشجارها ووفرة ازهارها وتعدد انهارها جمالا وروعة وعددا عن الجبال ، وهي كالجبال لم تذكر كثيرا في شعر الشعراء ولم تكن مصدر وحيمهم والهامهم ، فلم تتحرك في وصفها اقلامهم ، ولم تخفق لها قلوبهم اللهم الا نفرا قليلا استطاعوا ان يذكرنا لنا بعض هذه الوديان الشهيرة ، وان يصفوا طبيعتها الخلابة الجذابة ، والذي يلفت النظر في هذه الوديان جمال اسمائها . فوادى العسل (٣) وادى نهر المسى بهذا الاسم بساتين وجنات ، ووادى الحجارة وفيه من قلة الزعفران الشيء الكثير (٤) ووادى آشور وقد قامت بجانبه مدينة كبيرة خطيرة تجرى حولها المياه والانهار (٥) ووادى البحر (٦) ووادى الطلح وهو منزه جميل ملتف الاشجار تكثر فيه الاطيار المفردة (٧) وهنالك وديان كثيرة اخرى يضيق المقام عن ذكرها تطالع القارى

(١) الحميدى - صفة جزيرة الاندلس ١٤٢

(٢) المقرئ - الجزء الرابع طبعة بولاق ٢٩

(٣) صفة جزيرة الاندلس - الحميدى - ٧٣ - ٧٤

(٤) ١٩٣

(٥) ١٥٢

(٦) ١٥١

(٧) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس طبعة جديدة ٤٢٣

في الكثير من المصادر الأولية يمر عليها الشعراء من الكوام فلا تثير شعورهم ولا تحرك عواطفهم .  
ويتضح لي من مطالعة الادب الاندلسي ان لوادى آثر منزلة رفيعة عند اهل الاندلس  
ان انه خسر بالنصيب الاوفر من الشعر ، فقد خصه اكثرهم بالوصف والمدح ، ووادى الآثر هذا ويقال وادى  
الآثات مدينة جلييلة قد احدثت بها البساتين والانهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر (١)  
وصف ابو الحسن بن نزار جمال ذلك الوادى بازاهيره واشجاره واندائه الملطفة لهجير حره ، والشمس  
الرافية ان تنال منه لحظة فتتمتعها الاثيا ، والنهر المنساب كالافعى الرقطا ، يبتسم ابتسامة دل واغرا  
لاغصان الشجر المائلة على حوافيه ،

وادى الآثات يهيج وجدى كلما	اذ كرت ما افضت بك النعما
لله ظلك والهجير مسلط	قد بردت لفحاته الاندا
والشمس ترغب ان تغوز بلحظة	منه لتطرف طرفها الاثيا
والنهر يبسم بالحباب كانه	سلخ نضته حية رقشا
فلذاك تحذره الغصون فيلها	ابدا على جنباته ايماء (٢)

وفي هذا الوادى ايضا تقول حمدة بن زياد ابياتها المشهورة فتصفه بوادى ظليل خصب  
يسقيه الغيث المدرار ، كرم حنون يحنو على ضيوفه حنو المرضعات على اطفالهن ، فيسقي العطش  
من مائه الزلال الذى يفوق الخمرة لذة وطعما وتصد ايكه الملتفة حارقا الشمس عنهم وتفسح المجال  
للنسيم العليل ، واذا ما مرت عذرا به ووقع بصرها على حصاء اشتبه عليها الامر فتسرع الى عقد ها  
تتلمسه مرتاعة خشية ان يكون انفرط وانتثر امامها .

وقانا لفحة الرمضاء وادى	سقاء مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحننا عليها	حنو المرضعات على العظيم
وارشفنا على ظمأ زلالا	الذ من الدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا	فيحجبها وبأئن للنسيم
ترع حصاء حالية العذارى	فتلمس جانب العقد النظيم (٣)

ولقد اختلف المؤرخون في نسبة هذه الابيات . فان بعض يقول انها لحمدة والبعض  
ينسبها الى المنازى ولكن المقرئ يميل الى نسبتها الى حمدة . ويستشهد على ذلك باقوال عدة من  
مشاهير الادباء ومؤرخي الادب (٤)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٢٩٣

(٢) . . . . . ٢٩٤

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٩١

(٤) . . . . . ٤٩٢

وفيه تقول حمدة في مكان آخر وقد ذكرت فيه موقفا عاطفيا اثار دموعها :

اباح الدمع اسراري بواي      له في الحسن اسرار بواي  
فمن نهر يطوف بكل روضي      ومن روض يطوف بكل وادي  
ومن بين الظباء مهابة انس      سبت لبي وقد سلبت فؤادي  
لها لحظ ترقده لامر      وذاك الامر يخضعني رقادي  
اذا سدت ذوائبها عليها      رأيت البدر في افق السواد  
كان الصبح مات له شقيق      فمن حزن تسريل بالسواد (١)

وقد اثار وادي سحل او شنبل في ابن سعيد ابن حسان الشاعر فنظم فيه ابياتا جميلة وصف فيها منظره البهيح وازهاره المتنوعة وطبيعته الساكنة الهادئة . فلم يتعد في ذلك الوصف ما قاله الشعراء في الطبيعة الاندلسية .

وما شاقني الا نضارة منظر      وبهجة واد للعيون تروق  
تأمل اذا املت حوز موئل      ومد من الحمرا عليك شقيق  
واعظام نجد والسكينة قد ملئت      والمشفق الا على تلوح بروق  
وقد سل شنبل فريدا مهندا      نصي فوق در در فيه عقيق  
واذا لم منه طيب نضر اراكة      اراكة فتيت المسك وهو فتيق  
ومعها بكى جفن النمام تبسمت      تغمر اقاح في الرياض انيق (٢)

ويذكر شاعر آخر اوراقه المعيدة التي كان يسبح فيها مع احبته بين الفصوص الخضراء والعباء الجارية تحت الاشجار الباسقة يكرع الماء الزلال ومشاهد حبيب الانهر تلعب كأنها الدر ، والبلاهل تشد ونفون الشجر والطبيعة ساحرة ترف بشذاها الطيب ونسيمها العذير

رعى الله وادي شنبائه      وتلك الغدايا وتلك الليال  
ومسرحنا بين فصوص الغصون      وورق العباء ومحر الظلال  
ومرتمنا تعبت ادواحه      ومكرها في النيم الزلال  
نشاهد منها كعروض الحسام      اذا ما انتست فوقه كالعوال  
ولله من در حبيبائه      لآل واحسن بها من لآل

(١) الاحاطة الجزء الاول ٢١٥ - ٢١٦

(٢) " " " " ٢٥ - ٢٦

كخور ترنم فوق الحجال

وصح النسيم بها في اعتدال (١)

وهناك وادي الطلح ، وكثيرا ما كان المعتمد بن عباد يتقصد مع جاريته الرميكية وأولي  
أنسه ومسرته انتجاط للراحة وطلباً للعافية . ولهذا الوادي في شعر نور الدين ابن سعيد في  
قصيدة طويلة مطلعها :

سائل بوادى الطلح ربح الصبا      هل سخرت لي من زمان الصبا (٢)

ويذكره هذا الوادي بعهد حبيب على قلبه حيث مالت الاغصان والزهور ، وشدت الطير  
الحانها اللطيفة المطربة :

وَأَذْكُرُ بَوَادِي الطَّلَحِ عَهْدَنَا  
بِجَانِبِ الْعُطْفِ وَقَدْ مَالَتْ أَلْ  
وَالطَّيْرُ مَازَتْ بَيْنَ الْحَانِئِهَا  
لِلَّهِ مَا أَحْلَى وَمَا أَطْيَبُ  
أَفْصَانُ وَالزَّهْرُ بَيْتُ الصَّبَا  
وَلَيْسَ إِلَّا مَعْجَهَا مَطَرُهَا (٢)

- (١) الإحاطة الجزء الأول ١٤٠  
(٢) المقرئ المجلد الأول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٤٢٣  
(٣) " " " " " " ٤٢٤ - ٤٢٥

## في الطمسير والحيوان والاندلس

يعيش في الاندلس من الحيوانات ما يعيش في حوض البحر المتوسط وقد ذكر صاحب النفع بعض هذه الحيوانات فقال \* ويكون بالاندلس من الغزال والابل وسمار الوحش وبقرة وغير ذلك ما لا يوجد في غيرها كثيرا . واما الاسد فلا يوجد فيها البتة ولا الفيل والزرافة . وغير ذلك ما يكون في اقاليم الحرارة ولها سبع يعرف باللب اكبر بقليل من الذئب في نهاية من القعة . وقد يفترس الرجل اذا كان جائعا . ويغال الاندلس نارهم وخبيلها ضغمة الاجسام حصون للقتال لحملها الذروع وتقال السلاح والعدو في خيل البر الجنوبي . ولما من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض . قال ابن سعيد : عاينت من ذلك لا المعجب والساغرون في البحر يخافونها لثلاث ثقلب المراكب فيقطعون الكلام ، ولما ندع بالما من فيها يتم في الجو اذا ارتفع مفرط (١) .

ويظهر ان اهل الاندلس كانوا ياكلون لحوم الاقلام والبقرة والدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحميات (٢) . وعندهم نوع من الحيوان ادى من الارنب واطيب طعما يدهى القليلة وكذلك كانوا ياكلون لحم الغزال (٣) والسماك (٤) . ويظهر ان هذه الحيوانات لم تجذب افكار الشعراء ولم توجه اليهم بالشيء الكثير مولع الفرس احسن هذه الحيوانات حظا عند شعراء الاندلس فقد نادت واطنوا في ذكرها ، ولعل هذه الظاهرة ترجع الى حب حبيبين ، الاول ان ذكر الخيل في الشعر العربي كثير جدا فقد كان العربي منذ اقدم حضوره يعتز بفروسيه ويغفلها على نفسه ويخص قسطا كبيرا من شعره لوصفها وذكر حاسنها وشجاعتها واخلاقتها . فكان لا بد للشاعر الاندلسي وهو الذي ياثر الشاعر المشرقي في كل شي ان يقلده ايضا في وصف الفرس وحبه بها .

اما السبب الثاني وقد مر معنا شي منه فيما سبق فهو حلة الشعر الاندلسي الوثيقة بالخلفاء والامراء والعظماء من رجلى الدولة . فلقد رأينا ان الشعر الاندلسي لم يكن في الغالب الا صدى لهؤلاء الأشخاص الذين كانوا يسدون امور الدولة . فجاء الشعر محبرا من ايمانهم وقاماتهم سواء كان في مدحهم او في وصف قصورهم وحدائقهم وكل ما يعت اليهم بهمة حتى ولو كان الشعر في الحيوانات التي كانوا يستندمونها في شتى امراضهم وهنا يجب ان لا ننسى ان تاريخ الاندلس تاريخ جهاد وتناح ، وحرب وقتال بوان الفرس هي العامل الاول الذي لعب دوره في هذا الجهاد فكان من الطبيعي وهرب الاندلس مشغوفون بحبهم لوطنهم الجديد مندفعين للذود عنه وبذل كل شي لحمايته وصيانتهم من كيد العدو ان يهتموا بالخيل وان يصفوا الشعراء بقصائد كثيرة وان ياتي ذكرها في شعرهم اكثر من اي حيوان آخر .

(١) النسخ المجلد الثاني الطبعة الجديدة ٦٣ - ٦٤ (٢) النسخ مجلد (٥) طبعة جديدة ٥٩

(٣) طبعة بولاق الجزء الاول ٩٤ (٤) الجزء الاخر طبعة بولاق ١٢٥

لذلك ساحتل ان اسرد امثلة وصفهم للخيال بانواعها المختلفة ببعض اشعارهم

التي تبرز فيها صفات هذه الحيوانات الجميلة المحبوبة . قال ابن خفاجة وهو يصف فرسا اشقر مخضبا بلون الدم يطرب لصوت الحسام فيندفع الى الحرب كانه شرارة من النار فينقض على الاعداء انقضاض الصواقي :

ومطيمهم شرق الاديهم كانما	القت معافطه النجيع خضابا
طرب اذا غنى الحسام معزق	ثوب المعجاجة جيئة وذهابا
قدحت يد الهيجاء منه بارقا	متلهيا بزجي القتام سحابا
وروي الخفاظ به شياطين العدى	فانقض في ليل الغبار شهابا
يسامه شخر الحلى تحسب انسه	كاس اثار بها المزاج حبابا (١)

وله في فرس اشقر ايضا بعض الابيات وهي لا تختلف في معناها عما ذكر

واشقر تضرم منه الوضى	مرشعلة من شعل الباس
من جلتار ناضر خده	واذنه من وري الاس
تطلع للفرقة في وجهه	حبابة تضحك في كاس (٢)

وقال ايضا يصف فرسا يعاني الشرى كانه في يوم الوضى نجم من الضجوم القاذفة :

ومشرق الهادى طويل السرى	ضاني سيبب الذيل والعرف
يصرف الفارس في ليله	طرقا به اسرع من طرف
موهبا لو كان مستعبدا	لم يعبد الله على حرف
من انجم السعد ولكنسه	يوم الوضى من لك انجم القذف (٣)

اما النرس السريح فهو اسرع من الشهاب والبرق ولا يستطيع ان يخبرك عن سرعته الا الريح :

اطرف قات طرفي ام شهاب	هنا كالبرق ضربه التهاط
اغار الصبح صبحته نقابا	فقر به وضع لنا النقاب
نمها حث خال الصبح واني	ليطلب ما استعار فما يعاب
اذا ما انقض كل النجم عنه	وضلت عن مسالكه السحاب
فيا عجباً له فضل الذراري	فكيف ازال اريحة التشراب
سل الارواح عن ادنى مداء	فعند الريح قد يلقى الجواب (٤)

ويقول ابو الحسن بن سعيد العنسي في فرس اصفر اغراكل الحلية

واجرد تبرى اثرت به الشرى	وللقجرني خصر الظلام وشاح
له لون ذي عشق وحسن معشوق	لذلك فيه ذله ومسحراح
مجبت له وهو الاصيل بعرفه	ظلام وبين الناظرين صباح
يفيد طير اللحظ والوحش عندما	يطير بع نحو النجاج جناح (٥)

(١) ديوان ابن خفاجة ٢٦ (٢) ديوان ابن خفاجة ٧٥ (٣) ديوان ابن خفاجة ٨٦

(٤) النفوس الساذية طبعته ١٣٤٦ (٥) النفوس الساذية طبعته ١٣٤٦

وتبدوني اوصاف ابن حمديس للفرس ميزة التقليد لمعاني الشعراء القدماء فتشعر كأنك  
تقرأ شعرا من امرئ القيس وزهير .

ومديد الخطي كأنك مسنه  
قيد وحسن بلا ذخائر وهسن  
اسبق الريح فوقه فاذا صا  
تضع اللبد فوق تيار سهيل  
وقرى معقل وحارس لسهيل  
فتها امسكت بفضلة ذيل ي  
(١) وقال يصف فرسه ادهما :

وادهم ينهب عرض المدي  
بعيني عقاب وشدقي غراب  
كان البرق على جسمه  
وتحسب غرة صبح منغير  
ويجري به كل عرق كريمة  
وارساغ جاب وساتي ظليم  
مداوس تصقل منه اديهم  
بدت منه في وجهه ليل بليم  
(٢) ويصح التقليد هنا واضحا جليا حين يستعير ابن حمديس الفاظ امرئ القيس فيقول في فرس  
ادهم كان يوتر ركه على غيره

ومنغمس في صهفة الليل يمتطي  
ينختم يخاء قبيعة مسام  
يكرفكم جسم على الارض ساقط  
واحد تمير الاسد كالبهم عندها  
اطلت وقد حان الجلاء سكونها  
بماجل الاساد قيد الاوابد  
لما قد طفي من سنبل الهام حاصد  
صرع وكم ربح الى الجرو صاعد  
اذا ما الظباء خطت ربوع القلائد  
بقولك للابطال هل من مجالد  
(٣)

وقال في جواد :

ومجرى في الارض ذيل عسيبه  
يجري ولمع البرق في آثاره  
ويكاد يخرج سرعة من ظله  
حمل الزبرجد منه جسم عقيق  
من كثرة الكبوات غير غقيق  
لو كان يرفبني فراق رفيق  
(٤)

وقال في فرس :

وطائرة بد الخيول بسيفها  
اذا شئت الفت على الغرب رجلها  
لحوق كاني جامل من اعينها  
كريم تروى من نغمها سحبا لها  
وقد لبست للحين من فرس خلقا  
وثالت يد منها بوتهنما الشرقا  
لرسخ الفرا عقلا وحيدا له اسقا  
ومن رشحا قطرا ومن لحظها برق  
(٥)

(١)	ديوان ابن خنجاه	حمديس	٢٥٤
(٢)	ديوان ابن حمديس		٣٧٥
(٣)	• • • • •	• • • • •	١١٤
(٤)	• • • • •	• • • • •	٢٨٨
(٥)	• • • • •	• • • • •	٢٨٨

هذا هم ما جاء في وصف الفرس والى القارئ نماذج مختلفة لوصف بعض الحيوانات  
التي عاشت في الاندلس وقال ابن خفاجة في قصيدة قصيدة يذكر التفاهة في مفازة مظلمة بذئب ختال  
غدار تقشعرا لبدان لرويته وتقدح النيران من عينيه :

ومفازة لا نجم في ظلماتها	يسرى ولا فلك بها دوار
تتلهب الشعرى بها وكأنها	في كف زنجي الدجى دينار
ترعى بها الشيطان فيها والرى	دولا كما يتمج الثيسار
قد لفني فيها الظلم وطاف بي	ذئب يل مع الدجى زوار
طراق سادات الديار مساور	ختال ابتاه السرى غدار
يسرى وقد نضح الندى وجه الصونا	في فروة قد مسها اقشعرا
فغشوت في ظلمات لم تقدح بها	الا لقلته وباسي نيسار
ورفلت في خلع علي من الدجى	عقدت لها من انجم ازوار
والليل يقصر خطوه ولربما	طالت ليالي الركب وهي قصار
قد شاب من طرف العجرة مفرق	فيها ومن خط الهلال عذار (١)

وقال احدهم في صفة كلب وارنب

واطلس ملء جانحتيه خسوف	لا نوس ملء شذقيه سلاح
يباعرنا يطير حذار طساو	له ركن ينعش به البسراج
واحب ان تقلص ليل ذيل ليل	احم وقد اجد به الروح
يجول بحيث يكتمر من نصال	موللة وتحمله رمساح
وهلوا يرتقي حدب الروابي	وأونة تسيل به البسطاح
جرى شدا وللصبح التماح	بحيث جرى وللبرق التماح
فخلخله وسوره وميسر	جرى معه وطوقه صهساح (٢)

ووصف احدهم كلب صيد في منقعه يساوى

وادهم دون حلى ظلي حالي	كان ليل يقلده صهساح
يطير وما له ريش ولكن	مضى يهفو فارمه جناح
تكلم الطير بها نازمته	وتحسده اذا مر الريحاح
له الا لحاظ مهما جاء سلك	ومها سار فبهي له وشاح (٣)





ودائمة الاقواء في اصل خلقها  
 تلفت احيانا بعين كميلسة  
 وهرف دقيق الشعر تحسب نبته  
 تنفس كبيرا من يراع مستعجب  
 وتتفرض راسا في الزمام كأنما  
 اذا طلع النطح استجادت نطاحه  
 وقرنين اوفت منهما كل عقدة  
 اذا قمها بالتبرزات تعمزا  
 وتحسبها من نفسها ان تبخترت  
 وكم مشد قول امرى القيس حولها

اذا قابلت ادبارها حين مقبل  
 وجيد على طول اللوا مظلل  
 اذا الريح هزته ذوايب سنبل  
 فتعطي جنوبا منه من اخذ شملا  
 ترك له في الجوف نفثة اجدل  
 يرأس له هاد على السحب معتل  
 كرامتي باب الخبياء العفيل  
 على كل خود ذات تاج مكمل  
 تزني على الى بعل عروسا وتبخلي  
 اقام مهنلا بعض هذا التدليل (١)

ويظهر ان الصيد كان عادة محبوبة عند الاندلسيين ولذلك نجد اوصافا كثيرة عند ابن حمديس  
 للميادين وحيوانات الصيد وفي الايات التالية يصف الصقور والكلاب وقد خرج مع رفاقه للصيد +

وسامة الاحاظ للصيد قربت  
 بكرنا على اكادها ندرى بها  
 تساهل عنها السحب والتراب جرة  
 فوارس اند اقبلت في جواشن  
 وخفض نرى اذ انهن لواحظنا  
 ومرى فلا عند النتاج حديدة  
 دنا لنا منها جناح بوزة  
 اقام عليها موقد كبير سحره  
 رد دنا بها روحا على تبر اوراق  
 اقامت اتانيف من الدعر برهة  
 ولما نظلى جمرها وتجدلت

وهل نام عنا الليل وانتبه الفجر  
 طرائد معمورا بها البلد القفر  
 جوارح فوق الراح امينها خزر  
 من الرق لم تخلق لها البيض والسر  
 لمن خدود وهي من هبوة عنبر  
 نتاجها منه اذا وضعت سفر  
 كفارة المصفر طاربع الذمير  
 يحلي لها حرا وقد تلج لها الصدر  
 يبلبله ربح ويضربه قسطر  
 عوارى لم تركب رواحها قد ر  
 وقعت بايدينا ذوايبها الحمر (٢)

اما في الديك وعلى راسه تاج احمر فيمكن ان يقال فيه اكثر مما يقال في غيره من الطيور وقال الاسعد  
 فيه  
 ومنسها  
 كان انوشروان اعلاه تاجسه  
 وطائر حسن بالسقاة موئسل  
 توهم مظف الصدغ لونا بخده

وناظت عليه كف مارية القرطاس  
 يحب قلوب الشرب يلقطها لقطا  
 فبك تهمسك الخال يتقطه نقطا (٣)

وحذا بن سعيد العنسي غراب اليبين متشائما متطيرا منه

إذا ما غراب اليبين صاح فقل له      ترفق رماك الله يا طير بالبعد  
لانت على العشاق اقبح منظرا      واكره في الايصار من ظلمة اللحد  
تصيح بنوح ثم تعتر ما شيا      وتبرز في سود من الحزن مسود  
مضى نعت صبح اليبين وانقطع الرجاء      كانك من وشك الفراق على وعد (١)

والقمرى بشجرة الحنون ونوحه الباكي كثيرا ما يشير دموع الشعراء العشاق او الحزاني  
فالمعتمد ابن مباد ينظم انظر الشعر وارقه يرثي ولده عندما يرى قبرة تتوح وامامها وكرفيه  
طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترنحا :

بكت ان راحة الفين ضمه وكسر      مساء وقد اخنى على الفها الدهر  
وناحت فباحث واستراحت بسرها      وما نطقت حرفا يهيج به ———  
فما لا ابكي ام القلب صخرة      وكم صخرة في الارض يجرى بها نهر  
بكت واحدا لم يشجها غير فقد      وابكي لالان عديد ما كس——  
بني صغير او خليل موافق      يحرق ذا قتر ويغرق ذا بحر  
ونجمان زين للزمان احتواهما      بقرطبة النكداء اوردة القبر  
هذرت اذا ان من جفني بقطرة      وان لو مت نفسي فصاحبها الصبر  
فقل للنجم الزهر تبيها معي      لملها فلتحزن الانجم الزهر (٢)

### الحشرات

#### النحلة

ومن الذين اهتموا بالحشرات والهام من شعراء الاندلس ابن شهيد وابن محمد  
وقد جاء في الذخيرة : قال ابو الحسن \* وقد ضارب ابو عامر بن شهيد هذا محاسن الطبيعة  
العالية الهندادية المخارعة التي بانت فيها قوته ولدنت اختراعاته ومقدرته فصارتناول المعنى  
الحسن فيميز محسا بحسن ساقه . وقال بصف النحلة :

وطائرة تعي كان جناحها      ضمير خفي لا يحدده وهم  
ملازمة للروض حتى كانما      لها كل ما تفرقه الربى طعم  
تج بغيا الشهد صرنا ويختفي      لشتاره ما بين احشائها هم  
متافرة للانس تانس بالفلا      مفرقة للشهد من بعضها السم  
فادناؤها رشد وهتك حجابها      اذا احتجبت في غير ايامها ظلم (٣)

وقال في صفة البرفوث :

ونفر للنوم مسكه اذا	نام الملك ، بين اثنا الثياب
يسرى الى الاجسام يمتك عدوه	من كل جسم صيغ بالنعى حجاب
ومعزارداق الحسان وماله	كف ولكن فوه من اعدى الحراب
متحكم في كل جسم ناعسم	متدلل ما بين الحاظ الكصاب
فاذا همت بزجره ولي ولا	يشيه ما قد تعود طـ لـ ب
وترى موافع حضة مخضوة	بدم القلوب وما تعاورة خضاب
قرم من الليل البهيم مكسور	يمشي البراز وما توارى ثياب
عظمت رزينة ولكن قد رء	اخنى واهون من ذهاب في تراب (١)

وقال ابن حمد يسهدف عقرسا وقد ابدخ في ذلك بدقة ملاحظة ودقة تعبير وتصور

ومصرعة بالموت للطعن صعدة  
مداخلة في بعضها خلق بعضها  
تذيق خفي السم من وخزاهرة  
وتعمل بالراحات من لم يمت بها  
اذا لم يكن لون البشارة لونها  
لها سورة خفت بصورة رء

وقد نصلت للطعن معني صعدة  
ولم ترعين قبلها سميرة  
لها طعنة لا تستبين لناظر  
نسبت بها قيما وذكرى طعينة  
يحمل منها بائع السم بغيسة  
لها نقطة في الليل مؤذينة بها

ونقر خفي في الشخيص كانه  
ومن كل قطر يتقي شرها كما  
تجي " كام الشبل فضي توقدت

وقد دق معناها وجل خطورها  
نجيح قلوب في الضلوع دببها  
اذا وجهت راع القلوب وجببها  
بكل مكان ينتحيه رقيبها  
تذاب في جنح الدجنة ذيببها  
وقد توج اليافوخ منها عيببها

ومنها الى ان يقول :

- مدومع الانسان يحمر بينه      فكيف يوالي رقدة يستطيبها  
ولولا دفاع الله عنا بلطفه      لصبت من الدنيا علينا خطوبها (١)

وقال يصف الذباب الذي يقع على الارض

- ومودع في الطايا لسعة حصة      فيذبح الروح تعذيبا من الحسد  
يفشي السوام مناقيرا فتحسبها      مباضعا مديات كل مفتصد  
يكحك من دمها الثاني يدا بيد      حك الظريف بحناء بنان يد (٢)

وقال في مقسرب ليسفا

- وداع خلق تريب الخلق صورته      فكل ناظر حين ليس بالفسه  
كان شوكة غاب بهفعها      يجرع السم منه من يعادفه (٣)

---

(١) ديوان ابن حمديس ٣٧ - ٣٨

(٢) ديوان ابن حمديس ١١١ - ١١٢

(٣) ديوان ابن حمديس ٢٢٦

## كلمة ختامية

وأخيرا لا بد من كلمة ختامية نختم فيها ما اجملناه واسهبنا  
في شرحه في الفصول السابقة فنقول :

اولا - تقليد الشعراء الاندلسيين الشعراء الشرقيين تقليد تاما جعلهم  
في كثير من الاجيان ، بعيدين عن ان يحسوا احاسا شخصيا صادقا .

ثانيا - حملهم هذا التقليد على الاكتفاء بما نثر الشعراء الشرقيين فلم  
ياتوا بالعماني الجديدة ولم يضيفوا على الشعر العربي المعروف شيئا  
يستحق الذكر الا في بعض الموشحات .

ثالثا - لم يصف الاندلسيون الطبيعة متدفقين بتيار جمالي داخلي في نفوسهم  
يحتهم على حبها وتخليدها في شعرهم بل وقفوا ارضا لعظيم من  
العظماء او امير من الامراء او تزلزلا لاحد هؤلاء الناس .

رابعا - الطبيعة عند الشاعر الاندلسي هي في العمران والبناء والناس  
لا في الحقل والزهور والراحين وما يمكن ان توحيه هذه الحياة  
الريفية الساذجة للشعراء .

خامسا - فقدان النزعة التأملية . فالشاعر الاندلسي يعني اكثر ما يعني  
بالشكل الظاهر الخارجي ، اكثر ما يعني برج الطبيعة . قد  
يصف هذا الشاعر الطبيعة بعد ان ينظر اليها ولكنه لا يتأملها  
ولا يتمسق في تأملاته فهو يظهر دائما في اوصافه ، هائما بالحسن  
والجمال ، جمال الاشكال وجمال الراحين والازهار بعيد عن ان  
يستجلي معانيها العميقة .

سادسا - ان فقدان النزعة التأملية ادت الى استعارات واحدة وتشبيه مكررة ،  
متعائلة ، وفي وصف محاسن طبيعتهم . فاللون الاحمر يذكروهم جميعا  
بالدم او القم او الخدود الصلاح ، واللون الاصفر يذكروهم بالعاشق الولهان  
او العنبر المارق ولم يخرج شاعر في تصويره لمرور الريح فوق الماء عن تشبيهه  
بالزرد والحلق والدروع . ولا نجد وصف لطير الا وهو ساجع على الغصن الخضراء .

سابعاً

هولة الشعر الاندلسي وهيبته جعلته حبيباً الى النفوس  
مهلاً الى الحفظ . فلا يحتاج القارئ الى استعمال المعاجم  
الا في الشعر الذي يصف بعض الحيوانات كالنفساء والاسد . وهنا  
يبدوا الشعراء الاندلسيون مقلدين المشاركة .

ثامناً

في الشعر الاندلسي سطحية في المعاني وتوسعية في الالفاظ . فالشعراء  
الاندلسيون لم يقتصروا على المعاني يضطادوها من الاعماق كما  
كان يفعل شعراء المشاركة بل تناولوها سطحية، فربما المتناول .  
واهتموا بخرقة الالفاظ وتنميقها وتزيينها يسدون بها نقصهم .

ولعل في تعداد هذه الزايا ، مزينة مزينة ، نكون قد وضعنا  
امام القارئ ملخصاً للشعر الاندلسي في وصف الطبيعة كما يبدو  
امام الباحثين والدارسين . ولست ادعي الاحاطة بالموضوع من  
جميع اطرافه ونقاطه ولكني اعترف بفخر بانني بذلت جهداً كبيراً  
للوصول الى كل ما يجب وما يمكن الوصول اليه لدراسة هذا الموضوع .  
وان خيراً ما أختتم به رسالتي : كلمة العباد الاصفيائي الذي استطاع ان  
يصور بها تصويراً دقيقاً ، ما يخالج نفس المؤلف بعد ان يكتب ما يكتب ، من  
قلق روحي يدفعه دائماً الى حذف شيء او زيادة شيء آخر مما اشعر به انا  
بعد كتابة ما تقدم ونعمر به كل كاتب على ما ارجح . قال العباد :

( انني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده :  
لو غير هذا كان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هكذا لكان  
افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل و وهذا من اعظم العبر وهو دليل على  
استيلاء النقص على جملة البشر )

هذه رسالة تبحث في شعر الطبيعة في الاندلس تناولت فيها قبل البحث في جوهر الموضوع وشي من الايجاز تاريخ الفتح الاندلسي والاسباب التي دعت اليه والعوامل التي ساعدت على ذلك والثورة الاجتماعية التي تمخض عنها الفتح العربي واثرها الفعال في نفوس شعراء الاندلس وتلون شعرهم بلون خاص .

قال الاتدلسيون الشعر في مواضع شتى ونظموه في ابواب مختلفة ولكنهم ابدعوا وبرعوا بصفة خاصة في ذكر بلادهم الجميلة ووصف محاسنها ومفاتنها . وحق لهم ذلك فقد اصبحت الاندلس في ايام استتب فيها الامن على يد العرب الفاتحين جنة الله في ارضه فتعددت خيراتها ودنت قطوفها . واصبحت هذه الطبيعة الحلوة وهذه البساتين المشرقة وهذه الجنات التي لا نظير لها في اعتدال الهواء وعذوبة الماء شغل الشعراء الشاغل . منهم اذا ما مدحوا شبهوا بمدوحهم بالروضة الغناء يهب فيها النسيم العليل .

واذا ما تغزلوا صاغوا من الورد خدودا ومن النرجس عيونا ومن الآس اصدافا ومن السفرجل نهودا ، ومن قصب السكر قدودا ومن قلوب الجوز وسرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضابا بل اكثروا من تشبيه الحبيب بانواع الرياحين والرياح والبساتين وربما غالوا في ذلك حتى جعلوا من محبوبهم روضة مختلفة الازهار والالوان .

وتثير الطبيعة في نفس ابن زيدون شاعر الحب والجمال معاني الهوى وتحرك لواعجه ويرى الهوى في طلوع النجوم والسنى في هبوب النسيم . والحبيب عنده شمس تطلع من نقاب بل غصن بان يرغل في وشاح .

وكانوا اذا رثوا صوروا الروض مشنيا على المرثى ، كما تجرى جداول الماء على الخدود حزنا عليه ويهتز الناس هزة الاغصان بكاء على المصاب وقد بكى الشاعر بحزن اليم يصيب منه الفؤاد فيطلب من الطبيعة ان تواسيه وان تهطل السحب دموعا .

وهكذا نرى ان الطبيعة عند الاندلسي تتقبل جميع الصور وتتقص جميع الاشكال . ومثل هذا الشعر كثير جدا عند الاندلسيين ولكنه على كثرته لم تتنوع صورته ولم تتعدد مناحيه ولم يتعمق الشعراء في ابتكار معانيه حتى انهم لم يختلفوا كثيرا بعضهم عن بعض في انواع الاستعارات والتشبيه فالمعاني الواحدة تتكرر وتتردد في عدة قصائد لشعراء مختلفين بالفاظ مختلفة واحدة وتعاير واحدة . ان لم يكن الشاعر الاندلسي وهو يصف الرياح والبساتين الا كالرسام البار الذي توفرت لديه المناظر البهجة ولكنه على توفرها وجمال الوانها لم يستطع ان ينقلها لنا الا كما التقطتها ريشته فلم يتمكن الا ان يسكب فيها روحا من روحه او ان يلونها



برشة مغموسة بدم قلبه بل كان شاعرا يخرج الى الطبيعة مع رفاقه يهيم بجمالها ويتمتع بسحرها  
ثم يقف امام مذياع لينقل الى الناس مشاهداته ومغامراته وما تركته الطبيعة في نفسه من اثر وشعور  
يصدران عن الحس والمشاهدة فكان الشاعر يقرأ من سفر الطبيعة كما تراءت له لا اكثر ولا اقل .  
ولم يكن هذا بالشئ العسير فقد توفرت لديه المناظر وزخرت لغته بالاسماء والافصاف لشتى مظاهر  
الطبيعة واثارها وحالاتها واوقاتها فما كان منه الا ان ينقلها الينا بقالب شعري لطيف . ولهذا  
نرى ان هذا الشعر اتم بالفتور واصطبغ بالصنعة وهيمنت عليه مسحة التكلف والتطرف ولعل ذلك يرجع  
الى ان شاعرنا لم يخرج الى الطبيعة يتأملها لاجلها وحدها ويستجلي محاسنها وان يحاول النفاذ  
الى معانيها واستكشاف اسرارها وغوامضها بل كانت هنالك دوافع عديدة خارجية تدفعه الى وصفها  
والتغني بمحاسنها اهمها :

- (١) تهافت الشعراء وتزاحمهم على عتايى الامراء والخلفاء ووقفهم شعرهم على هوى الملوك  
لأمرهم الخاصة والعامة فكثيرا ما كان الشاعر لا يقول الشعر الا بناء على طلب اميره في  
مدحه وصفه ووصف قصوره ومبانيه وحدائقه وما حوت من الفرائب والنوادر .
- (٢) منافسة الشعراء ومناظرتهم بعضهم بعضا في وصف الرياض والراحين والبساتين حبا بالمنافسة  
والمناظرة لا ميلا الى الطبيعة والتغني بها .
- (٣) كثيرا ما كانت هذه الاوصاف ترتجل ارتجالا دون ان يفكر الشاعر تفكيرا عميقا فيأتي بمعاني  
مبتكرة جديدة .

فهذه الاسباب ومثلها الكثير هي التي صبغت الشعر الطبيعي بصبغة التصنع والتكلف فجاء  
في اكثره متشابه الصور والالفاظ سطحي المعاني بادي الكلفة والتزويق .  
وقد قسمت شعر الطبيعة في الاندلس الى فصول وهي :

(١) الماء (٢) الخضر (٣) الجبال والودية (٤) الطير والحيوان والهوام

الماء :

تناولت في فصل الماء الجداول والغدران ، البحيرات والبحار ، الاحواز والنواير .  
وما يلفت النظر في هذا الباب ان الشعراء اکتروا من تشبيهات المياه بالمعدات الحربية ،  
فالنسائم وما تتركه فوق المياه من غصون ، تجاعيد شبهوها بالدروع كما اکتروا من تشبيه الانهار  
بالمهند المصقول في حال عدم مرور النسيم فوقه وخلاصة القول ان الشعراء في جميع هذه الاوصاف  
لم يتجاوزوا الشكل فانهم لم ينفذوا الى اسرار البحار والانهار يرسمونها ويصفون عليها ألوان الفن  
كما فعلوا في غيرها من ألوان الطبيعة كما ان تشبيهاتهم للمياه كانت محصورة جدا فلم تتعد تشبيه  
المياه بالدروع والسيوف والحلق والزرد والاراقم والمجرة والبلور المجلي كما حصروا تشبيه صوت المياه  
بصوتها بزئير الاسود وغناء الطيور .

تبسطت في هذا الفصل بصورة خاصة لكثرة ما قيل فيه من الشعر، ويحتوى على  
الرياض والحدائق وورودها ورياحينها وغراسها وكهنتها وسواها . فتكلمت عن وصف الشاعر لهذه الرياض  
وحبه لها في جميع حالاتها ، وصفه لثمارها وازهارها ثمرة ثمرة وزهرة ثمرة ثمرة تطرقت الى المنتزهات  
العديدة المنتشرة في الاندلس ، وما للخلفاء والعظماء ورجال الدولة من فضل في تحسينها وتحملها  
وتشجيع الناس على ورودها والنظم فيها .

### ٣ - الجبال والادوية

يلاحظ بشي من الدهشة ان " الجبال " رغم كثرتها في الاندلس لم تكن لتؤثر  
في الشعراء او توحى اليهم بالشئ الكثير لذلك لا نرى لها اثرا كبيرا في قصائدهم ، واذا ما  
ذكرت فبشيء من الحذر والخوف والرعب لا تحببا اليها او تغزلا فيها .  
ولم تقل الوديان في الاندلس في اشجارها وكثرة اثمارها ووفرة ازهارها وتعدد  
انهارها جمالا وروعة وعددا عن الجبال . وهي كالجبال لم تذكر كثيرا في شعر الشعراء ولم تكن  
مصدر وحيهم والهامهم ، فلم تتحرك في وصفها اقلامهم ولم تخفق لها قلوبهم اللهم الا نفرا قليلا  
استطاعوا ان يذكروا لنا بعض هذه الوديان الشهيرة وان يصفوا طبيعتها الخلابة الجذابة .

### ٤ - الطيور والحيوان والمواضع

ان هذه الطيور وهذه الحيوانات والحشرات لم تجذب افكارهم الشعراء ولم توح  
اليهم بالشئ الكثير ولعل الفرس احسن هذه الحيوانات حظا عند شعراء الاندلس . ولعل تاجر  
الشاعر الاندلسي بالشاعر المشرقي هو الذي جعله يميل الى الفرس وان يقلده في وصفه الفرس  
وحبه لها . حاول الشعراء في هذا الباب تقليد شعراء المشرق فلم ينجحوا كثيرا .  
وارى من الخير ان اختصر واحمل ما اسهبت في شرحه في سائر فصول الرسالة  
بكلمة ختامية فاقول :

اولا - قلد شعراء الاندلس شعراء المشرق تقليدا عاما جعلهم في كثير من الاحيان بعيدين

عن ان يحسوا احساسا شخصيا صادقا .

ثانيا - حملهم هذا التقليد على الاكثاف بآثر الشعراء المشرقين فلم يأتوا بالسانى الجديدة ولم

يضيفوا على الشعر العربي المعروف شيئا يستحق الذكر الا في بعض الموشحات

ثالثا - لم يصف الاندلسيون الطبيعة مندفعين بتيار جمالي داخلي في نفوسهم يحثهم على حبها

وتخليدها في شعرهم بل وصفوها ارضا لعظيم من العظماء او امير من الامراء او

تزلفا لأحد هؤلاء الناس .

رابعاً - الطبيعة عند الشاعر الاندلسي هي في العمران والبناء والفن لا في الحقل والزهور والرياحين وما يمكن ان توحيه هذه الحياة الريفية الساذجة للشعراء .

خامساً - فقدان النزعة التأملية . فالشاعر الاندلسي يعنى اكثر ما يعنى بالشكل الظاهر الخارجي اكثر ما يعنى بروح الطبيعة . قد يصف هذا الشاعر الطبيعة بعد ان ينظر اليها ولكنه لا يتأملها ولا يتعمق في تأملاته فهو يظهر دائما في اوصافه ، هائلا بالحسن والجمال ، حمال الاشكال وجمال الرياحين والازهار بعيدا عن ان يستجلي معانيها العميقة .

سادساً - ان فقدان النزعة التأملية ادت الى استعارات واحدة وتشابه مكررة " متماثلة في وصف محاسن طبيعتهم . فاللون الاحمر يذكرهم جميعا بالدم او الفم او الخدود الملاح ، واللون الاصفر يذكرهم بالعاشق الولهان او المريض المفارق ولم يخرج شاعر في تصويره لمرور الريح فوق الماء عن تشبيهه بالزرد والحلق والدروع . ولا نجد وصفا لطير الا وهو ساجم على الغصون الخضراء .

سابعاً - سهولة الشعر الاندلسي وهلهلته جعلته محبوبا الى النفوس سهلا الى الحفظ . فلا يحتاج القارئ الى استعمال المعاجم الا في الشعر الذي يصف بعض الحيوانات كالفرس والاسد . وهنا يبدو الشعراء الاندلسيون مقلدين المشاركة .

ثامناً - في الشعر الاندلسي سطحية في المعاني وتوشية في الالفاظ . فالشعراء الاندلسيون لم يغيصوا على المعاني يصطادوها من الاعماق كما كان يفعل شعراء المشاركة بل تناولوها سهلة قريبة المتناول . واهتموا بزخرفة الالفاظ وتنميقها وتزيينها يسدون بها تقصيرهم .

ولعل في تعداد هذه المزايا ، مزية مزية ، نكون قد وضعنا امام القارئ ملخصا للشعر الاندلسي في وصف الطبيعة كما يبدو امام الباحثين والدراسيين .